

طَلَائِعُ السَّلَوَانِ فِي طَبَائِعِ النَّسْوَانِ

" لا تخطب المرأة لحسنها ، لكن لحصنها ، فإن اجتمع الحصن والجمال ، فذاك هو الكمال ، وأكمل من ذلك أن تعيش حصوراً ، وإن عُمرت عصوراً "

الزمخشري

تأليف

محمد حامد

obeikandi.com



obeikandi.com

المقدمة

لقد خلق الله من النفس زوجا للسكن والمودة والرحمة فقال في محكم كتابه {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (٢١) سورة الروم.

هذا هو الأصل في الزوجين، وغالباً ما يحدث التوافق بين العقلاء وتتحقق الغاية، ولهذا تتناقل العامة والخاصة أن هناك توافق إلى حد كبير في معظم أمور الحياة الزوجية من السلوكيات إلى الاجتماعيات إلى غيرها بين الأزواج، ولكنها بالتأكيد ليست قاعدة مضطردة بل الواقع يسجل الكثير من حالات الاختلاف والتشاكس إلى حد لا يمكن احتماله وهي التي تنتهي في النهاية بالفرقة والطلاق قال الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ..} (١٤) سورة التغابن.

وبالتأكيد تتنوع أسباب الاختلاف ما بين عزيمة لا يمكن تحملها وما بين تافهة يمكن الصبر عليها والعمل لتصحيحها، ولعل من أسوء حالات الزواج أن يتلى عاقل أو عالم بجاهلة حمقاء خرقاء، أو العكس أن تتلى عاقلة

عفيفة بأهبل جاهل متغطرس، وحينئذ ينقلب السكن إلى ساحة معركة
وقتل، والمودة إلى كراهية وبغض، والرحمة إلى عذاب وابتلاء، كفانا الله
والقراء ذلك، وكثير من حالات الفراق أسبابها دنيوية.

ويعتقد بعض الرجال أن المرأة يجب أن تكون كاملة في الخلق والخلق،
وأن لا يعيبها شيء من أمور الدين والدنيا، في حين تجده هو من أسوأ الخلق
خلقا وخلقاً، ولهذا لما سأل أحدهم عروسه ليلة عرسها لماذا أنت حزينة
وأنا فرح مسرور؟ قالت له: لأنك رأيت الحسن ففرحت وضحكت،
ولأنني رأيت القبح وسوء الخلق فحزنت وبكيت.

وأكثر ما يستغرب منه ضوابط الاختيار المثالية من الطرفين والتي قد لا
تتوفر إلا في الحور العين، سئل أحدهم: كيف تختار امرأتك؟ فأجاب: لا
أريدها جميلة فيطعم فيها غيري.. ولا قبيحة فتشمئز منها نفسي.. ولا طويلة
فأرفع لها هامتي.. ولا قصيرة فأطأطئ لها رأسي.. ولا سمينة فتسد علي منافذ
النسيم.. ولا هزيلة فأحسبها خيالي.. ولا بيضاء مثل الشمع.. ولا سوداء مثل
الشبح.. ولا جاهلة فلا تفهمني.. ولا متعلمة فتجادلني.. ولا غنية فتقول هذا
مالي.. ولا فقيرة فيشقي من بعدها ولدي.

ومن الطرائف أن رجلاً تزوج امرأة قبيحة الوجه ذميمة الخلقة.. وفي
صباح اليوم التالي للعرس.. قالت لزوجها: على من تريدني أن أظهر..؟

وعلى من تريدني أن أختبئ..؟؟ فقال لها: أنت في حلّ.. أن تظهرني على كل الناس إلا أنا!!

واختتم بذكر نتفًا من كتاب "ابتلاء الرجال الأخيار بالنساء الأشرار" للإسماعيل بن نصر السلاحي المعروف بابن القطعة^١، فقد روى أن أبا مسلم الخراساني وكان عمره ستًا وثلاثين سنة وقد أبتلي بامرأة شريرة سيئة الخلق، سأل أحد قواده يومًا وكان عنده فرس، فقال: بماذا يصلح هذا الجواد؟ فقال القائد: يغزى عليها في سبيل الله. قال الأمير: لا. قال: يطلب بها العدو. قال الأمير: لا. قال: فماذا يصلح أيد الله الأمير؟ قال: يركبه الرجل ليهرب من الزوجة السيئة وجار السوء.

ويحكى أن رجلاً صالحاً كان قد أبتلي بزوجة سليطة اللسان وكانت تبتيه بأشد البلاء، فلما ماتت وقف على قبرها وقال للمشييعين: اشهدوا عليّ يرحمكم الله أنها طالق مني ثلاثاً. فقالوا له: ويحك إنها قد بانت منك، وهي طالق إن شئت أم أبيت فقد ماتت! فقال الشيخ: أطلقها خيفة أن تكون زوجتي في الجنة، فإني لقيت منها في هذه الدنيا ابتلاءً شديداً والله سبحانه تعالى أكرم من أن يعذبني بها في الدنيا والآخرة معاً.

كفانا الله شر الخرقاء، وكفاكن الله شر الأهبل.

^١ طبع في دار الجيل - بيروت ١٤١٣ هـ، وهو بتحقيق رياض مصطفى العبدالله.

وكتابنا هذا عزيزي القارئ حديقة غناء ، رحلتُ فيه عبر الزمن ، وفي بطون الكتب ، حتى استخلص لك هذه الطباع ، وتلك الأخلاق ، حتى تقف عليها ، مطلعاً ، مسامراً ، شغوفاً بقصصه ، معتبراً بما طالعه فيه من صفات حميدة وذميمة ، فلكُ غُمنه ، وعليَّ غُرمه .

والله الهادي سواء السبيل

محمد حامد

باب مدح النساء

قال النبي صلى الله عليه وسلم: حَبَّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثَ: النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة . وقال عليه الصلاة والسلام: تنكح المرأة لجمالها ومالها، فعليك بذات الدين تربت يداك . ثم قال عليه الصلاة والسلام: ما أفاد رجل بعد الإسلام خيراً من امرأة ذات دين، تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه في نفسه وماله إذا غاب عنها .

وقال مسلمة بن عبد الله: المرأة الصالحة خير للمرء من عينيه ويديه.

ويقال: آخر متاع الدنيا لعين المرء: المرأة الصالحة والولد الأريب.

ويقال: من لم تخنه نساؤه تكلم بملء فيه. ويقال: خير النساء الودود الولود القعود.

وقال بعض العرب: خير النساء الهينة اللينة، النقية التقية التي تعين زوجها على الدهر، ولا تعين الدهر على زوجها. وقال بعض السلف: المرأة الصالحة إحدى الحسنيين.

ويقال: أعون الأعوان على المعيشة: المرأة الصالحة. ويقال:

الإنسان لا يسكن إلى شيء كسكونه إلى زوجته، ولذلك إن الله تعالى خلق حواء ليسكن إليها آدم عليه السلام. كما قال عز اسمه: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا).

فالسكون إلى الأزواج والأنس بهن مما ورثوه عن آبائهم.

وقال بعضهم: إن الرجل لا يسكن إلى شيء كسكونه إلى زوجته الموافقة المؤاتية له، لأن الله عز اسمه يقول: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً).

ولم يخصص بهذه الصفة غير النساء، ولذلك يهجر الرجل والديه وأولاده ومن دونهم بسبب زوجته، ولذلك لا يهتم أحد لأحد كاهتمام المرأة الصالحة لزوجها في شفقتها عليه وعلى عياله، ولا يكاد يتم أمر منزل الرجل ومروءته إلا بحرّة شفيفة رفيعة صالحة عفيفة، وإلا اختلت أموره واضطربت أسبابه.

وقال خالد بن صفوان لرجل: أطلب لي بكرا كثيب، أو ثيبا كبكر. لا ضرعاء صغيرة، ولا عجوزا كبيرة قد عاشت في نعمة وأدركتها حاجة، فخلق النعمة فيها وذل الحاجة معها.^١

^١ اللطائف والظرائف أبو منصور الثعالبي ص ١٦٤ ط دار المناهل، بيروت، عيون الأخبار ١ بن قتيبة الدينوري ٦/٤

ومن أحسن ما قيل فيهن قول الشاعر:

ونحن بنو الدّنيا وهنّ بناتُها ... وعيش بني الدّنيا لقاء بناتها

وقال آخر:

إنّ النساء رياحين خلقن لنا ... وكلّنا نشتهي شمّ الرياحين

باب ذم النساء

قال النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر النساء إنهن ناقصات العقل والدين وقال عليه الصلاة والسلام: شاوروهن وخالفوهن فإن البركة في خلافهن وقال عمر رضي الله تعالى عنه: استعيذوا بالله من شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر .

ويقال: النساء حبائل الشيطان. ويقال: إعص هواك والنساء وأطع من تشاء. وقال النبي عليه الصلاة والسلام: ما تركت بعدي فتنة أضر بالرجال من النساء . وعنه عليه الصلاة والسلام: خلقت المرأة من ضلع عوجاء، فإن داريتها استمتعت بها، وإن رمت تقويمها كسرتها.

وقال الشاعر على هذا:

هي الضلع العوجاء لست تقيمها ... ألا إن تقويم الضلوع انكسارها
وتجمع ضعفها واقتدارا على الفتى ... وهذا عجيب ضعفها واقتدارها
وقيل: إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان، لأن الله تعالى يقول: (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) . وقال الله: (إِنَّ كَيْدَكُمْ عَظِيمٌ) . وقال بعض الحكماء:
لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأته إلا بعد موتها.

وقال بعضهم:

إِنَّ النساء شياطين خلقن لنا ... نعوذ بالله من شرّ الشياطين
فهن أصل البليات التي ظهرت ... بين البريّة في الدّنيا وفي الدّين
وكان المأمون يقول: النساء شرّ كلّهن، ومن شر ما فيهن قلة الاستغناء
عنهن.

وقال بعضهم: المرأة الصالحة غلّ قمل يضعه الله في عنق من يشاء من
عباده، ويفكه عمن يشاء . وكان يقال: من القواتل امرأة إن حضرتها سبتك،
وإن غبت عنها لم تأمنها. وقال بعض الحكماء: أضر الأشياء بالدين والعقل
والجسم والمال: الغرام بالنساء، ومن لؤم من يتلي بهن: أنه لا يقتصر على ما
عنده ويطمح إلى ما ليس له.

وقال بعضهم: من يحصي مساوئ النساء وقد اجتمعت فيهن نجاسة
البطن والفرج، وما فيهن إلا ناقصة العقل والدين لا تصلي ولا تصوم أيام
حيضها، ولا يسلم عليها، وليست عليهن جمعة ولا جماعة، ولا يكون فيهن
نبي ولا قاض، ولا يسافرن إلا بوليّ.

ويقال: ما نهيت امرأة عن شيء قط إلا أتته. وفي معناه يقول طفيل الغنوي:

إِنَّ النساء كأشجار نبتن لنا ... منهن مرّ وبعض المرّ مأكول

إن النساء متى ينهين عن خلق ... فإنّه واجب لا بدّ مفعول

وقال رجاء بن حيوة، قال معاذ بن جبل: إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وإني أخاف عليكم فتنة السراء، وإن أشدها لكم عندي النساء؛ إذا تحلين الذهب والفضة ولبسن ريط الشام وعصب اليمن، أتعبن الغني، وكلفن الفقير ما لا يقدر عليه.^١

^١ العقد الفريد ابن عبد ربه ٧/١١١ ط دار الكتب العلمية - بيروت . اللطائف والظرائف ص ١٦٧

صفة الزوجة الصالحة

روي أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أتزوج، فادع الله أن يرزقني زوجة صالحة، فقال: «لودعا جبريل وميكائيل وأنا معهما ما تزوجت إلا المرأة التي كتب الله لك فإنه ينادي في السماء ألا إن امرأة فلان بن فلان، فلانة بنت فلانة». وقال صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالإبكار فإنهم أطيب أفواهاً، وأنتق أرحاماً». وقال عمر رضي الله عنه: «عليكم بالإبكار، واستعينوا بالله من شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر»، قال الشاعر:

لا تنكحن عجوزاً إن دعيت لها ... وإن حبيت على تزويجها الذهباً
فإن أتوك وقالوا إنها نصفٌ ... فإن أطيب نصفها الذي ذهباً

وقال آخر:

عليك إذا ما كنت لا بدّ ناكحاً ... ذوات الثنايا الغر والأعين النجل
وكل هضم الكشح خفاقة الحشا ... قطوف الخطأ، بلهاء، وافرة العقل
وقال الحارث بن كلدة: «لا تنكحوا من النساء إلا الشابة، ولا تأكلوا من الحيوان إلا الفتى، ولا من الفاكة إلا النضيج»، وقال مغيرة بن شعبة:

«حصنت تسعاً وتسعين امرأة، ما أمسكت واحدة منهن على حب، ولكنني أحفظها لمنصبها وولدها، فكنت أسترزيهن بالباه شاباً، فلما إن شبت وضعفت عن الحركة استرزيتهن بالعطية» .

وقال بعضهم: «لذة المرأة على قدر شهوتها، وغيرها على قدر لذتها» .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قال: «إنما النساء لعب فإذا تزوج أحدكم فليستحسن» .

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «تزوجها سمراء ذلفاء عينا، فإن تركتها فعلى صداقها» ، وقال الحجاج بن يوسف: «من تزوج قصيرة فلم يجدها على ما يريد فعلى صداقها» .

وروي عن علي، صلوات الله عليه، أن رجلاً أتاه فقال: «إني تزوجت امرأة مجنونة» ، فقالت المرأة: «يا أمير المؤمنين إنه يأخذني عند الجماع غشية» ، فقال للرجل: «ما أنت لها بأهل» .

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياكم وخضراء الدمن) ، وهي المرأة الحسناء في المنبت السوء، وقال بعضهم: «لا تتزوجن حنانة ولا أنانة ولا منانة ولا عشبة الدار، ولا كية القفا. فأما الحنانة، فالتى قد تزوجها رجل من قبل، فهي تحن إليه» .

والأنانة، التي تتن من غير علة. والمنانة، التي لها مال تمتن به. وعشبة الدار، الحسناء في أصل السوء. ولا كية القفا، التي إذا قام زوجها من المجلس، قال الناس: فعلت امرأة هذا كذا.

وقال محمد بن علي رضي الله عنهما: «اللهم ارزقني امرأة تسرني إذا نظرت، وتطيعني إذا أمرت، وتحفظني إذا غبت»، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا خطب أحدكم امرأة، فلا جناح عليه أن ينظر إليها، وإن كانت لا تعلم». وقال بعض الشعراء في تزويج الشبه:

إذا أردت حرةً تبغيها ... كريمةً فانظر إلى أخيها

ينبيك عنها وإلى أبيها ... فإن أشباه أبيها فيها

وقال آخر:

إذا كنت مرتاداً لنفسك أيما ... لنجلك فانظر من أبوها وخالها

فإنهما منها كما هي منهما ... كما النعل إن قيست بنعل مثالها

وقال آخر:

إذا كنت عن عين الصبية باحثاً ... فأبصر تر عين الصبي فذلِكَ

قال خالد بن صفوان لدلال: «أطلب لي امرأة بكرا، أو كبكر، حصانا عند

جارها، ما جنة عند زوجها، قد أدها الغنى، وذللها الفقر، لا ضرعة صغيرة،

ولا عجوزاً كبيرة، قد عاشت في نعمة، وأدركتها حاجة، لها عاقل وافر، وخلق

طاهر، وجمال ظاهر، صلة الجبين، سهلة العرين، سوداء المقلتين، خدلجة الساقين ، لفاء الفخذين، نبيلة المقعد، كريمة المحتد، رخيمة المنطق، لم يداخلها صلف، ولم يشن وجهها كلف، ريحها أرج، ووجهها بهج، لينة الأطراف، ثقيلة الأرداف، لونها كالرق، وثديها كالحق، أعلاها عسيب، وأسفلها كثيب، لها بطن مخطف، وخصر مرهف، وجيد أتلع، ولب مشبع، تتشنى تشني الخيزران، وتميل ميل السكران، حسنة المآق، في حسن البراق، لا الطول ازرى بها ولا القصر»^١.

قال الدلال: «استفتح أبواب الجنان، فإنك سوف تراها» .

وقال أيضاً: «لا تتزوج واحدة فتحيض إذا حاضت، وتنفس إذا نفست، وتعود إذا عادت، وتمرض إذا مرضت، ولا تتزوج اثنتين فتقع فيما بين الجمرتين، ولا تتزوج ثلاثاً فتقع بين أثافي، ولا تتزوج أربعاً، فيحقرنك ويهرمنك ويفلسنك» . فقال له رجل: «حرمت ما أحل الله» . فقال: «طمران وكوزان ورغيفان وعبادة الرحمن»^٢.

وعن صالح بن حسان قال: «رأيت امرأة بالمدينة يقال لها «حواء» ، وهي التي علمت نساء المدينة النقع، وهو النخر والحركة والغرble والرهر، وكانت

^١ المحاسن والأضداد الجاحظ ص ٢٠١ ط دار ومكتبة الهلال، بيروت

^٢ المحاسن والأضداد ص ١٤٨ ط مكتبة الخانجي

لها سقيفة تتحدث إليها رجالات قريش، ولم يكن في الدنيا أهل بيت إلا وتأخذ صبيانهم، وتمصهم ثديها، أو ثدي إحدى بناتها، فكان أهل المدينة يسمونها «حواء». ولم يكن بالمدينة شريف ممن يجلس في سقيفتها إلا واصل إليها في السنة ثلاثين وسقاً وأكثر من طعام وتمر، مع الدنانير والدراهم، والخدم والكساء.

فجاءها ذات يوم مصعب بن الزبير، وعمرو بن سعيد بن العاص، وابن لعبد الرحمن ابن أبي بكر، فقالوا لها: «يا خالة قد خطبنا نساء من قريش، ولسنا ننتفع إلا بنظرك إليهن، فأرشدنا بفضل علمك فيهن»، فقالت لمصعب: «يا بن أبي عبد الله ومن خطبت؟» قال: «عائشة بنت طلحة»؛ قالت: «أنت يا بن الصديق»، قال: «أم القاسم بنت زكرياء بن طلحة»، قالت: «أنت يا بن أبي أحيحة»، قال: «زينب بنت عمرو بن عثمان»، فقالت: «يا جارية علي بمنقلي» - تعني خفيها - فأتتها بهما، فخرجت ومعها خادم لها، فأتت عائشة بنت طلحة، فقالت: «مرحباً بك يا خالة»، فقالت: «يا بني أنا كنا في مأدبة لقريش، فلم تبق امرأة لها جمال إلا ذكرت وذكر جمالك، فلم أدر كيف أصفك، فتجردي لأنظرك»، فألقت درعها، ثم مشت، فارتج كل شي منها، ثم أقبلت على مثل ذلك، فقالت: «فداك أبي وأمي، خذي ثوبيك». وأتتهن جميعاً على مثل ذلك، ثم رجعت إلى السقيفة فقالت: «يا بن أبي عبد

الله، ما رأيت مثل بنت طلحة عائشة قط ممتلئة الترائب، زجاء العينين، هدبة الأشفار، مخطوطة المتنين، ضخمة العجيزة، لفاء الفخذين، مسرولة الساقين، واضحة الثغر، نقية الوجه، فرعاء الشعر، إلا أنني رأيت خلتين هما أعيب ما رأيت فيها: أما احدهما فيرواها الخف وهي عظم القدم، والأخرى يواريهما الخمار وهي عظم الأذن، وأما أنت يابن أحيحة فما تستأنس إليه، وهي ملاحه تعتز بها، وأما أنت يابن الصديق، فوالله ما رأيت مثل أم القاسم، ما شبهتها إلا بخوط بانه بتثنى، أو خشف يتقلب على رمل، ولم أرها إلا فوق الرجل، وإذا زادت على الرجل المرأة لم تحسن، لا والله، إلا من يملأ المنكيين، فتزوجوهن» .

ولو ركب ما حرم الله لم يكن ... بأقبح عند الله مما استحلت

قال: وكان بالمدينة رجل قد أعطي جودة الرأي، ولم يكن فيها من يريد إبرام أمر إلا شاوره، فأراد رجل من قريش أن يتزوج، فأتاه فقال: «أنا أريد أن أضم إلي أهلاً فأشر علي»، قال: «افعل تحصن دينك، وتغن مؤونتك، وإياك والجمال البارع»، قال: «ولم نهيتني، وإنما هو نهاية ما يطلب الناس» ؟ قال: «لأنه ما فاق الجمال إلا لحقه قول»، أما سمعت قول الشاعر:

ولن تصادف مرعى مونقاً أبداً ... إلا وجدت به آثار مأكول^١

^١ المحاسن والأضداد ص ٢٠٣ ط دار ومكتبة الهلال، بيروت .

قيل: وكانت جارية من بنات الملوك تكره التزويج، فاجتمع عندها نسوة فتذاكرن التزويج، وقلن لها: «ما يمنعك منه»؟ قالت: «وما فيه من الخير»؟ قلن: «وهل لذة العيش إلا في التزويج»؟ قالت: «فلتصف كل واحدة منكن ما عندها فيه من الخير حتى أسمع»؟ فقالت إحداهن: «زوجي عوني في الشدائد، وهو عائدي دون كل عائد، إن غضبت عطف، وإن مرضت لطف»، قالت: «نعم الشيء هذا»، قالت الأخرى: «زوجي لما عناني كافٍ، ولما أسقمني شافٍ، عرقه المسك المعراق، وعناق كالخلد، ولا يملّ طول العهد». قالت: «هذا خير منه»، قالت الأخرى: «زوجي الشعار حين أبرد، وأنيسي حين أفرد». فتزوجت، فقلن لها: «يا فلانة، كيف رأيت»؟ قالت: «أنعم النعيم، وسروراً لا يوصف، ولذة ليس منها خلف»^١.

^١ المحاسن والأضداد ص ١٥٠ ط مكتبة الخانجي .

في النكاح وفضله والترغيب فيه

قال الله تعالى: (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) الآية. وقال تعالى: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ). وقال تعالى: (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ) الآية.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوار عندكم» ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» . وقال صلى الله عليه وسلم: «سوداء ولود خير من حسناء عقيم» .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحسن النساء بركة أحسنهن وجهها وأرخصهن مهرا فينبغي للرجل إذا أراد أن يتزوج أن يرغب في ذات الدين وأن يختار الشرف والحسب» .

كما حكى أن نوح بن مريم قاضي مرو أراد أن يزوج ابنته، فاستشار جارا له مجوسيا، فقال: سبحان الله يستفتونك وأنت تستفتيني! قال: لا بد أن تشير عليّ.

قال: إن رئيسنا كسرى كان يختار المال، ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب، ورئيسكم محمد كان يختار الدين، فانظر أنت بأيهم تقدي. وقال رجل للحسن: إن لي ابنة فمن ترى أن أزوجهها له؟ قال: زوجها ممن يتقي الله عز وجل، فطن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

وقيل لرجل من الحكماء: فلان يخطب فلانة، فقال: أموسر من عقل ودين؟ فقالوا: نعم. قال: فزوجوه إياها. ويستحب أن يختار البكر لقوله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالأبكار فإنهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما». وقالوا: أشهى المطي ما لم يركب وأحب اللائىء ما لم يثقب. وأنشد بعضهم:

قالوا نكحت صغيرة فأجبتهم أشهى المطي إليّ ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة نظمت وحة لؤلؤ لم تثقب

فأجابته امرأة:

إنّ المطيّة لا يلذّ ركوبها ... حتى تذلل بالزّمام وتركبا
والدرّ ليس بنافع أربابه ... حتى يؤلّف بالنظام ويثقبا

قال خالد بن صفوان:

عليك إذا ما كنت في الناس ناكحا ... بذات الثنايا الغرّ والأعين النجل
وقيل: استشار رجل داود عليه السلام في التزويج، فقال له: سل سليمان
وأخبرني بجوابه، فصادفه ابن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان راكبا قسبة
فسأله: فقال:

عليك بالذهب الأحمر أو الفضة البيضاء، واحذر الفرس لا يضربك. فلم
يفهم الرجل ذلك، فقال له داود عليه الصلاة والسلام: الذهب الأحمر البكر.
والفضة البيضاء الثيب الشابة، ومن وراءهما كالفرس الجموح.^١
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تخيروا لنطفكم»، وقال صلى الله
عليه وسلم:

^١ المستطرف في كل فن مستطرف الأبيهي ص ٤٥٧ ط عالم الكتب - بيروت .

«انظر في أي شيء تضع ولدك، فطن العرق دساس». وقال عليه الصلاة والسلام: «إياكم إياكم وخضراء الدمن» قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء. وأنشدوا فيه:

إذا تزوّجت فكن حاذقا ... واسأل عن الغصن وعن منبته

وقال بعضهم:

وأول خبث الماء خبث ترابه ... وأول خبث القوم خبث المناكح

وعن علي رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فإن اللبن يعدي»^١.

وقيل: إن جعفر بن سليمان بن علي عاب يوما على أولاده، وأنهم ليسوا كما يحب، فقال له ولده أحمد بن جعفر: إنك عمدت إلى فاسقات مكة والمدينة وإماء الحجاز فأوعيت فيهن نطفك ثم تريد أن ينجبن وإنما نحن كصاحبات الحجاز، هلا فعلت في ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها، فزوجها منك.

وأنشدوا:

^١ ربيع الأبرار ونصوص الأخيار جاز الله الزمخشري ٥/٢٥٠ ط مؤسسة الأعلمي، بيروت .

صفات من يستحب الشرع خطبتها ... جلوتها لأولي الألباب مختصرا

صبية ذات دين زانه أدب ... بكر ولود حكت في نفسها القمر

غريبة لم تكن من أهل خاطبها ... تلك الصفات التي أجلو لمن نظرا

فيها أحاديث جاءت وهي ثابتة ... أحاط علما بها من في العلوم قرا

وقال آخر:

مطيات السرور فويق عشر ... إلى العشرين ثم قف المطايا

فإن جزت المسير فسر قليلا ... وبنت الأربعين من الرزايا

وقال آخر:

فإياك إياك العجوز ووطأها ... فما هو إلا مثل سم الأرقام

واعلم أن العيش كله مقصور على الحليلة الصالحة، والبلاء كله موكل

بالقرينة السوء التي لا تسكن النفس إلى عشرتها ولا تقر العيون برؤيتها. وفي

حكمة سليمان بن داود عليهما السلام: المرأة العاقلة تعمري بيت زوجها،

والمرأة السفيرة تهدمه.^١

وروي أنه لما حضر أبو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر، خطب

^١ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٥٧

فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه، وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوزن به رجل من قريش إلا رجح به برا وفضلا وكرما ومجدا ونبلا، فإن كان في المال قلّ، فالمال ظل زائل ورزق حائل، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي كذا وكذا، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل.^١

ولما خطب عمرو بن حجر الكندي إلى عوف بن محلم الشيباني ابنته أم إياس وأجابه إلى ذلك، أقبلت عليها أمها ليلة دخوله بها توصيها، فكان مما أوصتها به أن قالت: أي بنية إنك مفارقة بيتك الذي منه خرجت وعشك الذي منه درجت إلى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، فكوني له أمة ليكون لك عبدا، واحفظي له خصالا عشرا يكن لك ذخرا، فأما الأولى والثانية، فالرضا بالقناعة وحسن السمع له والطاعة، وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك إلا أطيب الريح، وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت طعامه ومنامه، فإن شدة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة، وأما السابعة والثامنة: فالإحراز لماله والإرعاء على

^١ نهاية الأرب في فنون الأدب شهاب الدين النويري ٩٨/١٦ ط دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة .

حشمه وعياله، وأما التاسعة والعاشره: فلا تعصي له أمرا، ولا تفشي له سرا، فإنك إن خالفت أمره أو غرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإياك والفرح بين يديه إذا كان مهتما، والكآبة لديه إذا كان فرحا. فقبلت وصية أمها، فأنجبت وولدت له الحارث بن عمرو جد أمراء القيس الملك الشاعر.^١

وعن الهيثم بن عدي الطائي عن الشعبي قال: لقيني شريح، فقال لي: يا شعبي عليك بنساء بني تميم، فإني رأيت لهن عقولا، فقلت وما رأيت من عقولهن؟

قال: أقبلت من جنازة ظهرا، فمررت بدورهن وإذا أنا بعجوز على باب دار وإلى جانبها جارية كأحسن ما رأيت من الجواري، فعدلت إليها، واستسقيت وما بي عطش.

فقلت لي: أي الشراب أحب إليك؟

قلت: ما تيسر.

قالت: ويحك يا جارية ائتيه بلبن، فإني أظن الرجل غريبا.

فقلت للعجوز: ومن تكون هذه الجارية منك؟

^١ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٥٨

قالت: هي زينب بنت جرير إحدى نساء بني حنظلة. قلت: هي فارغة أم مشغولة؟

قالت: بل فارغة.

قلت: أتزوجينها؟

قالت: إن كنت كفاً (ولم تقل كفوا) ، وهي لغة بني تميم، فتركها ومضيت إلى منزلي لأقيل فيه، فامتنعت مني القائلة، فلما صليت الظهر أخذت بيد إخواني من العرب الأشراف علقمة والأسود والمسيب، ومضيت أريد عمها، فاستقبلنا وقال: ما شأنك أبا أمية؟

قلت: زينب ابنة أخيك.

قال: ما بها عنك رغبة. فزوّجنيها، فلما صارت في حبالي ندمت وقلت أي شيء صنعت بنساء بني تميم، وذكررت غلظ قلوبهن. فقلت أطلقها، ثم قلت: لا، ولكن أدخل بها، فإن رأيت ما أحب وإلا كان ذلك. فلو شهدتني يا شعبي وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت علي. فقلت: إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلي ركعتين. ويسأل الله تعالى من خيرها ويتعوذ من شرها، فتوضأت. فإذا هي تتوضأ بوضوئي وصليت فإذا هي تصلي بصلاقي، فلما قضيت صلاتي أتتني جواريتها فأخذن ثيابي وألبسنني ملحفة قد صبغت بالزعفران فلما خلا البيت دنوت منها، فمددت يدي إلى ناصيتها،

فقلت: على رسلك أبا أمية، ثم قالت: الحمد لله أحمدته وأستعينه، وأصلي على محمد وآله، وأما بعد، فإني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك فبين لي ما تحب فأتيه، وما تكره فأجتنبه. فإنه قد كان لك منكح في قومك ولي في قومي مثل ذلك، ولكن إذا قضى الله أمرا كان مفعولا، وقد ملكت، فاصنع ما أمرك الله تعالى به، إما إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. أقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولك.

قال: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع، فقلت: الحمد لله أحمدته وأستعينه، وأصلي على محمد وآله أما بعد، فإنك قلت كلاما إن ثبتّ عليه يكن ذلك حظا لي، وإن تدعيه يكن حجة عليك، أحب كذا وأكره كذا، وما رأيت من حسنة فابثيها وما رأيت من سيئة فاستريها.

فقلت: كيف محبتك لزيارة الأهل؟ قلت: ما أحب أن يملّني أصهارِي.

قالت: فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له، ومن تكرهه أكرهه.

قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء.

قال: فبت معها يا شعبي بأنعم ليلة، ومكثت معي حولا لا أرى منها إلا ما أحب، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء، وإذا أنا بعجوز في الدار تأمر وتنهى، قلت: من هذه؟ قالوا فلانة أم حليلتك، قلت: مرحبا وأهلا وسهلا، فلما جلست أقبلت العجوز، فقلت:

السلام عليك يا أبا أمية.

فقلت: وعليك السلام ومرحبا بك وأهلا قالت: كيف رأيت زوجتك
قلت: خير زوجة وأوفق قرينة لقد أدبت فأحسنت الأدب، وريضت فأحسنت
الرياضة، فجزاكي الله خيرا.

فقالت: أبا أمية إن المرأة لا يرى أسوأ حالا منها في حالتين، قلت: وما
هما؟ قالت: إذا ولدت غلاما أو حظيت عند زوجها، فإن رابك مريب فعليك
بالسوط، فو الله ما حاز الرجال في بيوتهم أشر من الروعاء المدللة، فقلت.
والله لقد أدبت، فأحسنت الأدب، وريضت فأحسنت الرياضة.

قالت: كيف تحب أن يزورك أصهارك؟ قلت:

ما شاءوا، فكانت تأتيني في رأس كل حول فتوصيني بتلك الوصية،
فمكثت معي يا شعبي عشرين سنة لم أعب عليها شيئا، وكان لي جار من كندة
يفزع امرأته ويضربها، فقلت في ذلك:

رأيت رجالا يضربون نساءهم فشلت يميني يوم تضرب زينب

أأضربها من غير ذنب أتت به فما العدل مني ضرب من ليس يذنب

فزنب شمس والنساء كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب^١

^١ العقد الفريد ١٠٠/٧ ، المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٥٨

وخطب الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على ألفي ألف في السر وخمسماية ألف في العلانية، فأجابه إلى ذلك، وحملها إلى العراق، فأقامت عنده ثمانية أشهر، فلما خرج عبد الله بن جعفر إلى عبد الملك بن مروان وافدا نزل بدمشق. فأتاه الوليد بن عبد الملك على بغلة، ومعه الناس، فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد: لكنك أنت لا مرحبا بك ولا أهلا، قال: مهلا يا ابن أخي، فلست أهلا لهذه المقالة منك، قال: بلى والله، وبشر منها، قال: وفيم ذلك؟

قال: لأنك عمدت إلى عقيلة نساء العرب وسيدة نساء بني عبد مناف فعرضتها عبد ثقيف يتفخذها. قال: وفي هذا عتبت علي يا ابن أخي؟ قال: نعم، فقال عبد الله: والله ما أحق الناس أن لا يلومني في هذا إلا أنت وأبوك، لأن من كان قبلكم من الولاة كانوا يصلون رحمي ويعرفون حقي، وإنك وأباك منعتماني رفقكمما حتى ركبني الدين أما والله لو أن عبدا حبشيا مجدعا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه إنما فديت بها رقبتني، فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك، فقال: ما لك يا أبا عباس؟ قال: إنك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تفخذ نساء بني عبد مناف، فأدركت عبد الملك غيره، فكتب إلى الحجاج يقسم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل. قال: ولم يكن يقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة

يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا وما زال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات. وما كان يأتي عليه حول إلا وعنده غير مقبلة من عند الحجاج عليها أموال وكسوة وتحف.^١

وحكي أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار إلى دير هند بنت النعمان وهي فيه عمياء مترهبة، فاستأذن عليها، فقالت: من أنت؟ قال: المغيرة بن شعبة الثقفي. قالت:

ما حاجتك؟ قال: جئت خاطبا. قالت: إنك لم تكن جئتني لجمال ولا مال، ولكنك أردت أن تتشرف في محافل العرب. فتقول: تزوجت بنت النعمان بن المنذر، وإلا فأني خير في اجتماع عمياء وأعور. وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل، وكانت من أجمل نساء قريش، وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجهها وأبرهم بوالديه. فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا، فثقل ذلك على أبيه، فمر به أبو بكر يوما، وهو في غرفة له، فقال: يا بني إني أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك، وغلبت على عقلك، فطلقها، قال: لست أقدر على ذلك، فقال: أقسمت عليك إلا طلقته، فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها، فجزع عليها جزعا شديدا، وامتنع من الطعام والشراب، فقيل لأبي بكر

^١ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٥٩

أهلكت عبد الرحمن. فمر به يوما، وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع في الشمس ويقول هذه الأبيات:

فوالله لا أنساك ما ذرّ شارق ... وما ناح قمريّ الحمام المطوّق

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها في غير شيء يطلّق

لها خلق عفّ ودين ومحتد ... وخلق سويّ في الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرّق له وقال له: راجعها يا بني، فراجعها، وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله. فجزعت عليه جزعا شديدا، وقالت تراثه:

فآليت لا تنفك نفسي حزينه ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فتى طول عمري ما أرى مثله فتى ... أكرّ وأحمى في الهياج وأصبرا

إذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى القرن حتى يترك الرمح أحمر

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته، ودعا الناس إلى وليمته، فأتوه، فلما فرغ من الطعام، وخرج الناس قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين ائذن لي في كلام عاتكة حتى أهنيها، وأدعو لها بالبركة، فذكر عمر ذلك لعاتكة، فقالت: إن أبا الحسن فيه مزاح، فائذن له يا أمير المؤمنين، فأذن له، فرفع جانب الخدر، فنظر إليها فإذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق، فقال لها يا عاتكة:

أُلسِت القائلة:

فأليت لا تنفك نفسي حزينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

وقيل: إن عمر لما قتل عنها جزعت عليه جزعا شديدا، وتزوجت بعده الزبير بن العوام، وكان رجلا غيورا، وكانت تخرج إلى المسجد كعادتها مع أزواجها، فشق ذلك عليه، وكان يكره أن ينهاها عن الخروج إلى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» فعرض لها ليلة في ظهر المسجد وهي لا تعرفه، فضرب بيده عجزتها ثم انصرف، فقعدت بعد ذلك عن الخروج إلى المسجد، وكان يقول لها: ألا تخرجين يا عاتكة؟ فتقول: كنا نخرج إذ الناس ناس وما بهم من باس، وأما الآن فلا. ثم قتل عنها الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع وهو نائم، ثم تزوجها بعده محمد بن أبي بكر، فقتل عنها بمصر.

فقالت: لا أتزوج بعده أبدا إني لأحسبني أني لو تزوجت جميع أهل الأرض لقتلوا عن آخرهم.^١

وحكي عن الحارث بن عوف بن أبي حارثة أنه قال لخارجة بن سنان: أترى أخطب إلى أحد فيردني، قال:

^١ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٦٠

نعم. قال: ومن هو؟ قال: أوس بن حارثة بن لام الطائي. قال: اركب بنا إليه، فركبنا إليه حتى أتينا أوس بن حارثة في بلاده، فوجدناه في فناء منزله، فلما رأى الحارث بن عوف قال: مرحبا بك يا حارث. ثم قال:

ما جاء بك؟ قال: جئت خاطبا. قال: لست هناك.

فانصرف ولم يكلمه، فدخل أوس على امرأته مغضبا، فقالت له: من الرجل الذي سلم عليك، فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه؟ فقال: ذلك سيد العرب الحارث بن عوف، فقالت: فما لك لا تستنزه؟ قال: إنه استهجنني.

قالت: وكيف؟ قال: لأنه جاءني خاطبا، قالت: ألسنت تزعم أنه سيد العرب. قال: نعم. قالت: إذا لم تزوج سيد العرب في زمانه، فمن تزوج؟ قال: قد كان ذلك. قالت:

فتدارك ما كان منك، قال: فبماذا؟ قالت: بأن تلحقه فترده. قال: وكيف، وقد فرط مني إليه ما فرط. قالت:

تقول له إنك لقيتني وأنا مغضب لأمر، فلك المعذرة فيما فرط مني، فارجع ولك عندي كل ما طلبت، قال: فركب في أثرهما. قال خارجة بن سنان: فوالله إنا لنسير إذ حانت مني التفاتة فرأيت، فقلت للحارث وهو ما يكلمني هذا أوس في أثرنا، فقال: ما أصنع به، فلما رأنا لا نقف قال:

يا حارث أربع عليّ. فوقفنا له. وكلمه بذلك الكلام.

فرجع مسرورا. قال خارجة بن سنان: فبلغني أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته: ادعي لي فلانة، أكبر بناته. فأتته.

فقال لها: أي بنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب جاءني خاطبا. وقد أردت أن أزوجك منه، فما تقولين؟ قالت: لا تفعل. قال: ولم؟ قالت: لأن في خلقي رداة وفي لساني حدة، ولست بابنة عمه، فيراعي رحمي ولا هو بجارك في البلد فيستحي منك، ولا آمن أن يرى مني ما يكره، فيطلقني. فيكون عليّ بذلك مسبة، قال لها: قومي بارك الله فيك، ثم دعا ابنته الأخرى، فقال لها مثل قوله لأختها، فأجابته بمثل جوابها، فقال لها:

قومي بارك الله فيك، ثم دعا بالثالثة، وكانت أصغرهن سنا، فقال لها مثل ما قال لأختها، فقالت له: أنت وذاك، فقال لها: إني عرضت ذلك على أختيك، فأبتاه، ولم يذكر لها مقالتهما. فقالت: والله إني الجميلة وجهها الرفيعة خلقا الحسنة رأيا، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه، فقال لها: بارك الله فيك. ثم خرج إليه، فقال: زوجتك يا حارث بابنتي هئيسة، قال: قد قبلت نكاحها، وأمر أمها أن تهئئها له، وتصلح شأنها، ثم أمر بيت فضرب له، وأنزله إياه، ثم بعثها إليه، فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج إليّ، فقلت له: أفرغت من شأنك؟ قال: لا والله، قلت له: وكيف ذلك؟ قال: لما مددت يدي إليها قالت:

مه أعند أبي وأخوتي هذا، والله لا يكون. ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معا
وسرنا ما شاء الله. قال لي: تقدم، فتقدمت، فعدل عن الطريق، فما لبث أن
لحقني، فقلت:

أفرغت من شأنك؟ قال: لا والله، قلت ولم؟ قال: قالت تفعل بي كما
يفعل بالامة السبية الأخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب
وتعمل ما يعمل مثلك لمثلي، فقلت: والله إني لأرى همة وعقلا، فقال:
صدقت. قال:

أرجو الله أن تكون المرأة النجيبة، فوردنا إلى بلادنا، فأحضر الإبل والغنم
ونحر وأولم ثم دخل عليها وخرج إليّ، فقلت: أفرغت من شأنك؟ قال: لا
والله. قلت:

ولم ذاك؟ قال: دخلت عليها أريدها، فقلت لها: أحضرت من المال ما
تريدين. قالت: والله لقد ذكرت من الشرف بما ليس فيك، قلت: ولم ذاك؟
قالت: أتستفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا، وكان ذلك في أيام
حرب قيس وذيبيان. قلت: فماذا تقولين؟ قالت: أخرج إلى القوم، فأصلح
بينهم، ثم راجع إلى أهلك فلن يفوتك ما تريد، فقلت: والله إني لأرى عقلا
ورأيا سديدا، قال:

فاخرج بنا، فخرجنا حتى أتينا القوم، فمشينا بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية، فحملنا عنهما الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير، فانصرفنا بأجمل ذكر، ثم دخل عليها، فقالت له: أما الآن، فنعم، فأقامت عنده في ألد عيش وأطيبه، وولدت له بنين وبنات وكان من أمرهما ما كان، والله أعلم بالصواب.^١

وحكى الفضل أبو محمد الطيبي قال: حدثنا بعض أصحابنا أن رجلا من بني سعد مرت به جارية لأمية بن خالد بن عبد الله بن أسد ذات ظرف وجمال، وكان شجاعا فارسا، فلما رآها قال: طوبى لمن كان له امرأة مثلك، ثم أتبعها رسولا يسألها ألقها زوج ويذكره لها وكان جميلا، فقالت للرسول: وما حرفته، فأبلغه الرسول ذلك، فقال: ارجع إليها وقل لها:

وسائلة ما حرفتي قلت حرفتي ... مقارعة الأبطال في كل شارق

إذا عرضت خيل لخيّل رأيتني ... أمام رعيّل الخيل أحمي حقائقي

أصبر نفسي حين لم أر صابرا ... على ألم البيض الرقاق البوارق

فلحقها الرسول، فأنشدها ما قال، فقالت له: ارجع إليه وقل له أنت أسد، فأطلب لك لبوة، فلست من نسائك، وأنشدته تقول:

^١ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٦١

ألا إنّما أبغي جوادا بماله ... كريما محيّا كثير الصدائق

فتى همّه مذ كان خود خريدة ... يعانقها في الليل فوق النمارق^١

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الإمام الشافعي رضي الله عنه قال: تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت الجارية الجديدة تمر على بيت القديمة فتقول:

وما يستوي الرجلان رجل صحيحة ... وأخرى رمى فيها الزمان فشلت
ثم تعود وتقول:

وما يستوي الثوبان ثوب به البلى ... وثوب بأيدي البائعين جديد
فمرت الجارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت:

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى ما الحبّ إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأوّل منزل^٢
وقال عمرو بن العلاء، وكان أعلم الناس بالنساء:

فإن تسألوني بالنساء فإنني ... بصير بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله ... فليس له في ودّه نصيب

^١ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٦١

^٢ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٦١

وسئل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال: بنات العم أحسن مؤاساة،
والغرائب أنجب. وما ضرب رؤوس الأقران مثل ابن السوداء. وقال عبد
الملك بن مروان: من أراد أن يتخذ جارية للمتعة، فليتخذها بربرية، ومن أراد
أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية، ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها
رومية.

قال الشاعر:

لا تشتمنّ امرأ ممّن يكون له ... أمّ من الروم أو سوداء عجماء

فإنّما أمهات القوم أوعية ... مستودعات وللأنساب آباء^١

وقال الأصمعي أتاني رجل من قريش يستشيرني في امرأة يتزوجها، فقلت: يا
ابن أخي أقصيرة النسب أم طويلته؟ فلم يفهم عليّ، فقلت: يا ابن أخي: أما
القصيرة النسب فالتّي إذا ذكرت أباهَا اكتفت به، والطويلة النسب فهي التي لا
تعرف حتّى تطيل في نسبها، فأياك أن تقع مع قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع
دناءة فيهم، فتضيع نسبك فيهم. وخرج رجل من أهل الكوفة في غزاة، فكسب
جارية وفرسا وكان مملكا على ابنة عمه، فكتب إليها يعيرها ويقول:

إلا بلّغوا أمّ البنين بأننا ... غنينا وأغنتنا الغطارفة النجد

^١ اللّآلي في شرح أمالي القاضي ٧٩٥/٢ ط دار الكتب العلمية - بيروت ، المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٦٢

بعيد مناط المنكبين إذا جرى ... وبيضاء كالتمثال زينها العقد

فهذا لأيام العدو وهذه ... لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فلما ورد عليها كتابه وقرأته قالت يا غلام: هات الدواة، وكتبت جوابه

تقول:

ألا فاقرء مني السلام وقل له غنينا وأغنتنا الغطارفة المرد

إذا شئت أغناني غلام مرجّل ونازعته في ماء معتصر الورد

وإن شاء منهم ناشيء مدّ كفه إلى عكن ملساء أو كفل نهدي

فما كنتم تقضون حاجة أهلكم شهودا فتقضوها على النأي والبعد

فعجّل إلينا بالسّراح فإنّـه منانا ولا ندعوك الله بالرد

فلا قفل الجند الذي أنت فيهم وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد عليه كتابها لم يزد على أن ركب الفرس وأردف الجارية خلفه ولحق

بأبنة عمه، فكان أول شيء بدأها به بعد السلام أن قال لها: بالله عليك هل

كنت فاعلة ذلك، فقالت له: الله في قلبي أعظم وأجل وأنت في عيني أذل

وأحقّر من أن أعصي الله فيك، فكيف ذقت طعم الغيرة، فوهب لها الجارية،

وانصرف إلى الغزاة

ومبحث في أقسام النسوان

فمن تقاسيمهم، تقسيم باعتبار الصلاح والطلاح، فالمرأة على قسمين: صالحة وطالحة. أما الصالحة، فهي التي لا تلتفت إلا إلى زوجها، ومن لوازمها، الحياء، واسترضاء الزوج. وروي عن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، إن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسه وماله".

وكانت الرباب بنت امرئ القيس تحت الحسين سبط النبي صلى الله عليه وسلم فلما استشهد خطبها الأشراف من قريش، فأبت، وقالت: والله لا يكونن لي حمو آخر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وعاشت بعد الحسين رضي الله تعالى عنه سنة لم يظلمها سقف شغلي أن ماتت حزنا وكمدا رحمها الله تعالى.

ومن أمثلتها في الشعر قول الأعشى:

لم تمش ميلاً ولم تركب على جملٍ ... ولم تر الشمس إلا دونها الكلل^١

^١ المجلس الصالح ص ٥٢٩

وأما الطالحة، فهي التي تكون عارية عن حلية الصلاح، وهي على قسمين: بيتية وسوقية. فالبيتية: هي التي تكون مشغولة بغير زوجها، ولم يكن الفسق لها حرفة. والسوقية: هي التي يكون الفسق لها حرفة، ويكون مدار معاشرتها على كسب المال، كالرقاصات والبساطات. ثم البيتية على ثلاثة أقسام: إحداهن: المختفية، هي التي لا يعلم فسقها أحد.^١

وثانيتهن: المتسترة، وهي التي تخفي فسقها، لكنه ظهر قليلا بالأمارات، وهي الوسطى بين المختفية والمعلنة، كقول ولادة:

ترقّب إذا جنّ الظّلامُ زيارتي فإني رأيتُ اللّيلَ أكتَمَ للسرِّ
وبي منكَ ما لو كان بالبدر ما بدا وبالليل ما أدجى وبالنّجم لم يسر^٢
وقول زين الدين بن عبيد الله:

يا عاذلا قد لجاني في محبتها ... إليك عني فإني لست أتركها

وليس يعجبني إلا تعفّفها ... مع الوريّ ومعى وحدي تهتكها

تسترها ظاهر، وظهور فسقها قليل، يفهم من عدل العاذل.

^١ نشوة السكران من صهباء تذكّار الغزلان أبو الطيب محمد صديق خان ص ٤٢ ط المطبعة الرحمانية بمصر

^٢ المطرب من أشعار أهل المغرب ابن دحية الكلبي ص ٩ ط دار العلم للجمع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت -

ومن بدائع قدرته تعالى أن المغناطيس يجذب المغناطيس إن كانت القطعتان منه متساويتين، تجذب كل واحدة منهما الأخرى، وإن كانت متخالفتين تجذب الكبيرة الصغيرة، وأبدع من هذا يجذب الحديد، وأبدع من الأمرين أن طبيعته مائلة إلى الجدي، وهو كوكب قريب من القطب، فانظر إلى من جلست قدرته كيف صنع المعاملة بينهما، فإن الجدي علوي والمغناطيس سفلي، ذلك جرم نوراني وهذا جسم ظلماني، وبينهما فاصلة من الغبراء إلى السماء، فلا ندري أي نسبة خلقها الله تعالى بينهما منشأ للسيلان ومصدرا للهيمنان، مع وجود عدم المناسبة بينهما في الظاهر، ومن ههنا يظهر أن واحدا منا إن عشق ذا شكل قبيح، فهو معذور، ينبغي ألا يلومه لائم لأن الله تعالى خلق بينهما نسبة خفية هي علة للمحبة، والعقل قاصر عن إدراكها، ومن ثم قال بعض الحكماء: الحسن مغناطيس روحاني لا يعلل جذبه للعقول بعلة سوى الخاصة.^١

وما أحسن ما قال الزاهي البغدادي:

وكم أبصرت من حسن ولكن ... عليك لشقوتي وقع اختياري^٢

ثالثتهن: المعلنة، هي التي تعلن فسقها، كقول بعضهم:

^١ نشوة السكران ص ٤٤

^٢ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٢٦٤

وَدِدْتُكَ لِمَا كَانَ وَدُّكَ خَالِصًا وَأَعْرَضْتُ لِمَا صِرْتُ نَهَبًا مُقَسَّمًا

وَلَا يَلْبِثُ الْحَوْضُ الْجَدِيدُ بِنَاؤُهُ إِذَا كَثُرَ الْوَرَادُ أَنْ يَتَهَدَّمَا^١

وقول العباس بن الأحنف:

كَتَبْتُ تَلُومٌ وَتَسْتَرِيبُ زِيَارَتِي وَتَقُولُ لَنَا كَعَهْدِ الْعَاهِدِ

فَأَجَبْتُهَا وَدَمَوْعُ عَيْنِي جَمَّةٌ تَجْرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ غَيْرَ جَوَامِدِ

يَا فَوْزَلَمْ أَهْجَرَكُمُ لِمَلَاكَةٍ مِنِّي وَلَا لِمَقَالٍ وَاشٍ حَاسِدِ

لَكِنِّي جَرَّبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ لَا تَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ^٢

والسوقية: لها قسم واحد، و مدارها على كسب المال بالفسق، ومن أمثلتها ما

حكى أن بعض البخلاء كتب إلى امرأة حسناء: ابعتي إلي خيالك في المنام،

فكتبت إليه: ابعتي إلي ديناراً آتاك بنفسك في اليقظة. وقول من قال:

وَحَوْذٌ دَعَتْنِي إِلَى وَضْلِهَا ... وَعَصْرُ الشَّيْبَةِ مِنِّي ذَهَبٌ

فَقُلْتُ مَشِيي مَا يَنْطَلِي ... فَقَالَتْ بَلَى يَنْطَلِي بِالذَّهَبِ^٣

^١ الأغاني ٦/ ٣٣٠

^٢ الأغاني ١٧/ ٧٨

^٣ نشوة السكران ص ٤٥

مبحث في التقسيم باعتبار السن

والتي لم يظهر فيها أثر الشباب أصلاً، والشائبة الآيسة، خارجتان عن المبحث، لأنهما ليستا قابلتين للمعاشرة.

قالوا: المرأة على ثلاثة أقسام: الأولى: الصغيرة: هي التي يظهر فيها أثر الشباب. والكاعب: التي نقلها السيوطي عن أبي الفرج هذه، وهي على قسمين: إحداهما:

الغافلة: هي التي يظهر فيها أثر الشباب، لكن لا تعرفه ولا تدري ما العشق، كقول المتنبي

إِنَّ التِّي سَفَكْتُ دَمِي بِجُفُونِهَا ... لَمْ تَدْرِ أَنَّ دَمِي الَّذِي تَقْلَدُ

ومنهن الغير المتزينة، كقوله:

أَتِ أُمَيْمَةً بِالْحَنَاءِ جَارَتَهَا فَأَصْبَحَتْ مِنْ هَجُومِ الْغَيْظِ فِي الضَّرْمِ

قالت: أرى ورق الحناء فيه دم فما ألوث كفا طاهراً بدم

ومنهن: النافرة عن الجماع، كقول المتنبي:

بيضاء تطمع في ما تحت حلتها ... وعز ذلك مطلوباً إذا طلبا

كأنها الشمس يعي كف قابضه ... شعاعها ويراه الطرف مقرباً

وقوله:

لجينة أو عادة رفع السجف ... لو حشية لا ما لو حشية شنف

نفور عرتها نفرة فتجاذبت ... سوافها والحلي والخصر والردف

قال الواحدي في شرح البيت الأول: أراد ألجينة فحذف همزة الاستفهام،

والعرب إذا بالغت في مدح شيء جعلته من الجن، والعادة مثل الغيداء،

والسجف: جانب الستر إذا كان بنصفين، وقوله: لو حشية، يجوز أن يكون

استفهاما كالأول، ويجوز أن يكون جوابا لنفسه، كأنه قال: ليس لجينة أو عادة

بل هو لو حشية، أي لظبية وحشية، ثم رجع منكرا على نفسه فقال: لا، ما

لو حشية شنف، يعني: إن السجف الذي رفع إنما رفع لإنسية، لأن عليها

شنوفا، والوحشية لا شنف عليها. ومعنى البيت الثاني: هي نفور، أي: نافرة

طبعاً، وعرتها، أي: أصابتها نفرة حادثة من رؤية الرجال إياها فاجتمعت

نفرتان، فتنفرت غاية التنفر، ولوت عنقها، وطوت خصرها، فعاق الحلي لثقله

العنق، فمنعه عن الالتواء، وعاق الردف لعظمه الخصر، ومنعه عن الانطواء،

فحصل التجاذب بينهما، والسوالف جمع سالفة، وهي: صفحة العنق.^١

وقول قائل:

^١ نشوة السكران ص ٤٧

صدور فوقهن حقاق عاج ودر زانه حسن اتساق

يقول الناظرون إذا رأوه ... أهذا الحلي من هذي الحقاق

نواهد لا يعد لهن عيب ... سوى منع الحبيب من العناق^١

وثانيتها: الخبيرة، هي: التي يظهر فيها أثر الشباب، وتعرفه، وسماه أبو الفرج محمد بن محمد الشلحي: الناهد والمفكلة، كقوله :

نظرت إلى الثديين ناهدة الحمى ... وعدت بحسنهما قرير العين

قالت: إلهي! أنت زدت محاسني ... وهديتني كرمًا إلى النجدين

والثانية المتوسطة: وهي: التي تبلغ الشباب ويظهر فيها العشق، لكنها تكتمه حياء، ويكون العشق والحياء فيها متساويين، وهي المعصرة التي نقلها السيوطي، لاجتماع الدلال والأدب فيها، وهذه المرتبة تحدث في وسط العشرة الثانية من العمر، كقول ليلى العامرية في قيسها:

لم يكن المجنون في حالة ... إلا وقد كنت كما كان

لكنه باح بسر الهوى ... وإنني قد ذبت كتماناً^٢

الثالثة: الكبيرة، وهي: الشابة التي تتجاوز عن حد المتوسطة، ويغلب عشقها الحياء، وهي العانس التي تقدمت عن السيوطي، كقوله تعالى: (ووردته التي

^١ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٢٧١

^٢ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٠٦

هو في بيتها عن نفسه، وغلقت الأبواب وقالت هيت لك) [يوسف: ٢٣].
وقول القيرواني:

كم ليلة بت من كأسٍ وريققتها نشوان أمزج سلسلاً بسلسال
تبيت لا تحتمي عني مراشفها كأنما ثغرها ثغر بلا والي
وقول آخر:

وسألتها بإشارة عن حالها وعلى فيها للوشاة عيون
فتنفست كمدا وقالت ما الهوى إلا لهوان وزال عنه النون^١

ولهم تقسيم مقسمة: الشاكية، هي التي يبيت محبتها مع امرأة أخرى فتتفرس
بالعلامات وتشكو إليه، وهي على قسمين: إحداهما الرامزة، هي التي تظهر
الشاكية برمز، وهي على نوعين أولاهما:
الرامزة قولاً، كقوله على لسانها:

أتيتني في لباس فاخر سحراً... والحمد لله جاءني بك المقة
ما كنت أعلم إلا الطرف مكتحلاً... واليوم أعلمتني أن تكحل الشفة

^١ نشوة السكران من صهباء تذكّار الغزلان ص ٤٩

تقول له إشارة: إنك بت مع امرأة أخرى وقبلت عينيها، وأثر كحلها لائح
على شفّتيك. وقوله أيضاً على لسانها:

أتيت مباحاً في نشاط طبيعة ... وملت إلى إيفاء عهد مؤسس
لبست وشاحاً أين يوجد مثله ... فصيرته جزءاً لجسم مقدس
تخاطبه إشارة: إنك ضمنت امرأة وانتقش صدرك بقلائدك. ومبني على هذا
قوله على لسانها:

وجدتك سيدي بين البرايا ... إماماً بارعاً ورعاً نبيها
أتيت بخارق عجب صباحاً ... لبست قلادة لا خيط فيها
وأخراهما: الرامزة فعلاً، كقول آزاد، وهو من شعر هندي:
لقد سقته فتاة خمر ريققتها ... كلاهما في رغيد العيش قد باتا
وجاء صبحاً إلى مثوى حليلته ... فسلمت ليد المخمور مرآتا
وثانيتها: المصرة، وهي: التي تظهر الشكاية صراحة، كقول آزاد على
لسانها:

أتيت إذا لاح الصباح مبيتنا ... وصاحبت طول الليل بعض الخرائد بنا
أنت قد زادتك في الصدر زينة ... قلائد لاحت من نقوش القلائد
وقوله على لسانها أيضاً من شعر هندي:

ما لاح في شفتيك كحل رائق ... إني أبيضه بحسن بيان

ختمت على شفتيك ذات تدلل ... كيلا تكلمني على الأحيان

واعلم أنك إذا ضربت قسمي الشاكية في أقسام التقسيمين السابقين يحصل منه أقسام آخر، وكذلك الأقسام الآتية يتفرغ بضرها أقسام كثيرة، ولا يساعدني الدماغ حتى أفصل كلها وأذكر أمثلتها، ومن الأقسام المشكلة بينهم: الغافلة الرامزة، لأنها عديمة الشعور، فكيف تصدر منا الشكاية بالرمز؟ والتوجيه: إن قوله صالح لأن يكون شكاية لو صدر من العاقلة، كقول آزاد وهو من شعر هندي:

رأت المهاة العامرية صدره ... بالظفر مكلوماً فقالت مرحبا

هذا هلال تبغيه طبيعتي ... روعي فداؤك أعطنيـه لاعبا

تعني: إن الزوج بات مع امرأة أخرى، وهذه جرحت صدره بالظفر في حالة التدلل والامتناع، فلما جاء إلى الغافلة، وهي لم تدر أن في الصدر جرح الظفر، بل حسبه هلالاً لصغر سنّها، طلبته من الزوج لأجل اللعب. ولهم تقسيم مقسمة: المضطربة، هي التي تجيء إلى المحب في كمال الشوق، كقول بعضهم:

بلا موعد زارت وقالت سحرتني ... فوسوس حليي والكرى قد جفا جفني

وقبل حجلي أحمصي واستمالني ... وشاحي وبات القرط يدوي على أذني

وقول جرير:

طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا ... وقت الزيارة فارجعي بسلام

وقال أزداد معذرا عن جرير:

يأتي على من هام وقت لا يكو ... ن له إلى الحسنة فيه ركون

طرقته صائدة الفؤاد فردها ... لا تعذله وللجنون فنون^١

ثم المضطربة على قسمين: الأولى: المنهرة: وهي التي تجيء في النهار

إلى المحب، من أنهر، إذا دخل في النهار، كقول بعضهم:

وعدت أن تزور ليلا فألوت ... وأتت في النهار تسحب ذيلا

قلت هلا صدقت في الوعد قالت ... كيف صدقي وهل ترى الشمس ليلا^٢

وقول بعضهم:

وفتاة قد أقبلت تتهادى ... بين حور كواعب كالشموس

قلت للهندسي لما تبدت ... مثل هذي يكون شكل لعروس

تشبيه الكواعب بالشموس قرينة على أن الفتاة الزائرة منهرة.

^١ نشوة السكران ص ٥٣

^٢ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٢٦

والثانية: الطارقة، وهي التي تجيء في الليل إلى المحب، من الطروق، وهو الإتيان في الليل، ولها قسمان: الأولى: الطارقة في الليل المظلم، كقول محمد بن عبد الله النميري في زينب أخت الحجاج بن يوسف الثقفي:

تضوع مسكا بطن نعمان إذ مشت ... به زينب في نسوة خفرات

له أرج من مجمر الهند ساطع ... تطلع رياه من الكفرات^١

وقول أبو البدر الطيب الغزي العامري:

ألا طرقتنا قبل منبلج الفجر ... معطرة الأردن طيبة النشر

وجاءت كما شاء المنى في مطارف ... من الحسن أدناها أدق من السحر

فعاطيتها صفراء بكرا كأنها ... إذا جلّيت في كأسها الشمس في البدر

ومازجتها ضمّاً فرحنا كأننا ... خليطان من ماء الغمامة والخمر

إلى أن نضى كف الصباح حسامه ... وأسفر داجي الأفق عن فلق الفجر

فيا ليلة ما كان أزهر حسنّها ... لقد أذكرتني موهنا ليلق القدر

وقد تقرر أن الليل مظلم ما لم يشتمل القول على ما يشعر به بكونه مقمراً^٢

والثانية: الطارقة في الليل المقمر، وفي حديث ابن ماجه، عن ابن عباس،

أن رجلاً ظاهر من امرأته، فغشيها قبل أن تكفر، فأتى النبي صلى الله تعالى

^١ العقد الفريد ١٧٣/٦

^٢ نشوة السكران ص ٥٤

عليه وآله وسلم، فذكر له، فقال: "ما حملك على ذلك؟" قال: يا رسول الله! رأيت بياض حجليها في القمر، فلم أملك نفسي أن وقعت عليها. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمره أن لا يقربه حتى يكفر. وليس في الحديث ذكر الطروق، لكن إنما ذكر ههنا لمناسبة ما^١.

ولهم تقسيم مقسمه: الفاطنة: هي التي تعمل نوعا من الفطنة في معاملاتها بالنسبة إلى محبتها، وهي على نوعين: الفاطنة قولاً: كما في حديث عائشة رضي الله عنها، قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبي" فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: "إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد صلى الله عليه وسلموا إذا كنت علي غضبي قلت: لا ورب إبراهيم". قالت: قلت: أجل، والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك. وفي الحديث فطنة الطرفين. وقال رجل لامرأة: أنت بستان الدنيا، فقالت: وأنت النهر الذي يشرب منه ذلك البستان. وقول بعضهم في المحبوب:

بليت به فقيها ذا دلال ... يناظر بالجدال وبالذلال

طلبت وصاله والوصل حلو ... فقال نهى النبي عن الوصال

وقول محمد مؤمن الشيزاري مضمناً:

^١ نشوة السكران ص ٥٥

رأيت غانية كالشمس كاسفها ... عبد علا فلك التدوير من كفل

فلمتها فأجابتنى بلا مهل ... لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

والفاطنة فعلا: كقوله تعالى: (فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكئا وأتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشر إن هذا إلا ملك كريم)

[يوسف: ٣١].^١

وقول المتنبي:

حاولن تفديتي وخفن مراقبا ... فوضعن أيديهن فوق ترائباً^٢

وقول ابن الدمينه:

تَعَالَلْتُ كِي أَشْجَى وَمَا بِكَ عِلَّةٌ ... تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتُ بِذَلِكَ^٣

ولهم تقسيم مقسمة: المستكبرة. وهي على قسمين: الأولى: المستكبرة

بحسنها، كقول بعضهم:

وأهيف ظل بالمرآة مغرى ... بواظب رؤية الوجه المليح

وقال طلبت معشوقا مليحا ... فلما لم أجده عشقت روحي^١

^١ نشوة السكران ص ٥٦

^٢ خزانة الأدب ٩٧/١ وترائباً: موضع القلادة أي عظام الصدر.

^٣ الأغاني ٩٧/١٧ تعال: ادعى العلة والمرض. أشجى: أحن من جشي بالكسر يشجى بالفتح

والثانية: المستكبرة بمودة المحب، كقول امرئ القيس في معلقته:

أغرّك مني أن حبك قاتلي ... وأنتك مهما تأمرني القلب يفعل^١

وقول أبي القاسم أحمد بن طباطبا:

قالت لطيف خيال زارني ومضى ... بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقال خلفته لو مات من ظمأ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

قالت صدقت الوفا في الحب شيمته ... يا برد ذاك الذي قالت على كبدي^٢

وذكروا أقساما متفرقة للمرأة، منهن: الحاصرة: هي التي تمنع محبتها عن

السفر، مشتق من الحصر، وهو الحبس عن السفر، كقول أبي النواس:

تقول التي من بيتها خف محملي ... عزيز عليك أن نراك تسير

أما دون مصر للغنى متطلب ... بلى، إن أيباب الغنى لكثير

فقلت لها واستعجلتها بواد ... جرت، فجرى من جريهن عبير

ذريني أكثر حاسديك برحلة ... إلى بلد فيه الخصيب أمير^٣

^١ نشوة السكران ص ٥٧

^٢ العقد الفريد ١٩٥/٦

^٣ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٢٥

^٤ خزانة الأدب ٣٣٠/١

ومنهن: المهجورة، كقول أزداد على لسانها:

سحقا لغادية بالغيث تحرقني ... من أين ماء قراح حصل الحرقا

فعل السحائب إرسال الحيا كرما ... فما لهذي الغوادي تمطر البرقا

ومنهن: النادمة، هي التي تصد عن الحبيب، ثم ترجع عن الصدود، كقول الصفي الحلي:

أصفتك من بعد الصدود مودة ... وكذا الدواء يكون بعد الداء

أبكي وأشكو ما لقيت فتلتهي ... عن در ألفاظي بدر بكائي^١

ومنهن: المغترة، هي التي ترسل السفيرة إلى المحب فيجامعها، ثم ترجع، فتعرف المرسلة ما جرى بينهما بالعلامات، كتمزق القميص، وانفصام القلادة، وانتشار النشور، وغيرها، وتعاتبها. ووجه التسمية ظاهرة، وهو انخداعها بالسفيرة، كقول أزداد على لسانها تخاطب سفيرتها:

يا جارة ذهب مني إلى رجل ... أخذت حظك من عند الذي ظلما

فصمت حبل التقى والأمر متضح ... أرى على صدرك التقصار منفصما

وقوله:

^١ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٢٥

سفيرة سلمى بالحبيب تمنعت ... أليس على هذا براهين قاطعه
فمن عرق مبلولة الجيب هذه ... ومن تعب أنفاسها متتابعة^١

^١ نشوة السكران ص ٦١

باب ما جاء في خلق النساء

إذا كانت المرأة ضخمةً في تعمّدٍ وعلى اعتدالٍ فهي: رمجلة. فإذا زاد ضخمتها ولم تقبح فهي: مسبحلة. فإذا كانت طويلةً قيل: جاريةٌ سبطةٌ وعيطبول. فإذا كانت بها مسحةٌ من جمالٍ فهي: جيلةٌ ووضيئةٌ. فإذا أشبه بعضها في الحسن بعضاً فهي: حسّانةٌ. فإذا استغنت بجمالها عن الزينة فهي: غانيةٌ. فإذا كانت لا تبالي أن تلبس ثوباً حسناً ولا قلادةً فاخرةً فهي: معطالٌ. فإذا كان حسننها ثابتاً كأنّها رسمت به فهي: وسيمةٌ. فإذا قسم لها حظٌّ وافٍ من الحسن فهي: قسيمةٌ.

وقالوا: وقال الصّباحة في الوجه الوضّاءة في البشرة. الجمال في الأنف. الحلاوة في العينين. الملاحاة في الفم. الظّرف في اللّسان. الرّشاقة في القدّ. اللّباقة في الشّمائل. كمال الحسن في الشّعر.

والمرأة الرّعبوبة: البيضاء. الرّهراء: التي يضرب بياضها إلى صفرةٍ كلون القمر والبدر. والهجان: الحسنه البياض.

والمرأة طفلةٌ ما دامت صغيرةً؛ ثمّ وليدةٌ إذا تحرّكت؛ ثمّ كاعبٌ إذا كعب ثديها؛ ثمّ ناهدٌ إذا زاد؛ ثمّ معصرٌ إذا أدركت؛ ثمّ خودٌ إذا توسّطت الشّباب.

والزَّجاء: الدَّقِيقَةُ الحاجبين الممتدَّتْهُمَا حتَّى كأنَّهُمَا خطًّا بقلمٍ. والبلج: إن يكون بينهما فرجةٌ، وهو يستحبُّ، ويكره القرن وهو اتِّصالُهما. والدَّعج: أن تكون العين شديدة السَّواد مع سعة المقلة. والبرج: شدة سوادهما وشدة بياضهما. والنَّجل: سعتهما. الكحل: سواد جفونهما من غير كحلٍ. الحور: اتَّساع سوادهما.

الشَّنب: رقة الأسنان واستواءُهما وحسنها. الرِّتل: حسن تنضيدها واتِّساقها. التَّفليج: تفرج ما بينهما. الشَّتت: تفرَّقها في غير تباعدٍ في استواءٍ وحسنٍ يقال منه، ثغرٌ شتيتٌ. الأشر: تحديدٌ في أطراف الثَّنَايا يدلُّ على الحداثة. الظَّلَم: الماء الذي يجري على الأسنان من البريق. الجيد: طول العنق. التَّلع: إشرافها.

وإذا كانت المرأة شابةً حسنة الخلق فهي: خود. فإذا كانت جميلة الوجه حسنة المعرى فهي: بهنكة. فإذا كانت دقيقة المحاسن فهي: مملودةٌ. فإذا كانت حسنة القد، ليّنة العصب: فهي: خرعةٌ. وإذا كانت لم يركب بعض لحمها بعضاً فهي: مبتلةٌ. فإذا كانت لطيفة البطن فهي خمصانةٌ. فإذا كانت لطيفة الكشحين فهي: هضيمٌ. فإذا كانت لطيفة الخصر مع امتداد القامة فهي: ممشوقةٌ. فإذا كانت طويلة العنق في اعتدالٍ وحسنٍ فهي: عطبول. فإذا كانت

عظيمة العجيزة فهي: رداح. فإذا كانت سمينَةً ممتلئة الذراعين والساقين فهي خدلجةٌ.

فإذا كانت سمينَةً ترتجّ من سمنها فهي مرمادةٌ. فإذا كانت ترعد من الرطوبة والغضاضة فهي برهرهةٌ. فإذا كانت كأنّ الماء يجري في وجهها فهي رقراقةٌ. فإذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشرة فهي: بضّةٌ. فإذا عرفت في وجهها نضرة النعيم فهي: نظرةٌ. فإذا كان فيها فتورٌ عند القيام لسمنها فهي: أناةٌ ووهنانةٌ. فإذا كانت طيّبة الريح فهي بهنانةٌ. فإذا كانت عظيمة الخلق مع جمالٍ فهي عرهررةٌ. فإذا كانت ناعمةً جميلةً فهي: عبقرّةٌ. فإذا كانت مثنيّةً للين وتعمدٍ فهي: غيداء وغادةٌ. فإذا كانت طيّبة الفم فهي: رشوفٌ.

فإذا كانت طيّبة ريح اليد فهي: أنوفٌ. فإذا كانت طيّبة الخلوة فهي: رصوفٌ. فإذا كانت لعوباً ضحوكاً. فهي: شموغٌ. فإذا كانت تامّة الشعر فهي: فرعاء. فإذا لم يكن لمرفقيها حجمٌ من سمنها فهي: درماء. فإذا ضاق ملتقى فخذيها لكثرة لحمها فهي: لفاء.

فإذا كانت حيّةً فهي: خفرةٌ وخريدةٌ. فإذا كانت منخفضة الصوت فهي: رخيمةٌ. فإذا كانت محبةً زوجها متحبةً إليه فهي: عروبٌ. فإذا كانت نفوراً من الرّيب فهي: نوارٌ. فإذا كانت تجتنب الأقدار فهي: قذورٌ. فإذا كانت عفيفةً فهي: حصانٌ. وإذا كانت عاملة الكفين فهي صناع.

فإذا كانت كثيرة الولد فهي: بنون. فإذا كانت قليلة الولادة فهي: نزور. فإذا كانت تلد الذكور فهي: مذكار. فإذا كانت تلد الإناث فهي: مئناث. فإذا كانت تلد مرة ذكراً ومرة أنثى فهي: مهاب. فإذا كانت لا يعيش لها ولد فهي: مقلاث. فإذا كانت تلد النجباء فهي: منجاب. فإذا كانت تلد الحمقاء فهي: محمقة.

فإذا كانت يغشى عليها عند الجماع فهي: ربوخ. والممكورة: المطوي الخلق. واللدة: اللينة الناعمة. والمقصدة: التي لا يراها أحد إلا أعجبت. والخبرنجة: الجارية الحسنة الخلق في استواء. والمسبطرة: الجسيمة. والعجزاء: العظيمة العجيزة. والرعبوبة: الرطبة. والرّجاجة: الدّقيقة الجلد. والرّتكة: الكثيرة اللحم؛ والطّفة الناعمة. والرّود: المتشّية اللينة. والأملود: الناعمة؛ ومثلها الخرع - مأخوذ من نبت الخروع وهو نبت لين - والبارقة: البيضاء الثغر. والدّهشة: السهلة. والعاتق: التي لم تتزوج. والبلهاء: الكريمة، والمفضّلة عن السرّ الغريّة. والعيطموس: الفطنة الحسنة.

والسلهبة: الخفيفة اللحم، والمجدولة الممشوقة. والسرعوفة: الناعمة الطويلة. والفيضاء والعفاء: الطويلة العنق. والتّهانة أيضاً: الضحّاة المهللة. والغيلم: الحسناء. والخليق: الحسنة الخلق؛ وقال الفرّاء هي أحسن الناس حيث نظر ناظر، أي هي أحسن الناس وجهاً. وقال أبو عمرو: ويقال

للمرأة إذا كانت حسناء: كأنّها فرسٌ شرهاء - والشّرهااء: الحديدية النّفس -
وامرأةٌ حسنة المعارف - ومعارفها: وجهها - والمتحرّية: الحسنة المشية في
خيلاء. والشّموس: التي لا تطمع الرّجل في نفسها، وهي الدّعور. وامرأةٌ
ظمياء: إذا كانت سمراء، وشفّةٌ ظمياء كذلك. ويقال لها إنّها لحسنة العطل أي
الجسم. ويقال عبقةٌ أي التي يشاكلها كلّ الناس.^١

ونذكر اختلافات النّاس في الشّدي والعجز والمجدولة من النّساء
والضّخمة الطّويلة، والغضيضة. واختلاف شهواتهم في الممسوحة والمفلكة
والكاعب والنّاهد والمنكسرة. ومن استحسن الشّدي الضّخم الذي يملأ
الكفين، ومن ذمّ ذلك.

وممّن وصف الشّحم عبد بني الحسحاس حيث يقول:

توسّدني كفّاً وترفع معصماً عليّ وتحنو رجلها من ورائي
أميل بها ميل النّزيف، وأتقي بها القطر، والشّقان من عن شماليا
فسحيم لم يتّخذها هدفاً تستر عنه الرّيح والقطر إلاّ وهي في غاية الضّخم.

^١ أخبار النساء ص ٢٢٨ - ص ٢٣١

وقال أبو عبيدة: دخل مالك الأشتر على علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، في صبيحة بنائه على نسائه فقال: كيف وجد أمير المؤمنين أهله! قال كالخير من امرأة، لولا أنها خنأ قباء قال: وهل يريد الرجال من النساء إلا ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: كلا، حتى تدفئ الضجيع، وتروي الرضيع.

وهذا يدل على العجب بالضخم والشحم. وأكثر البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة هذا الأمر يقدمون المجدولة، فهي تكون في منزلة بين السمينة والممشوقة مع جودة القد وحسن الخط. ولا بد أن تكون كاسية العظام. وإنما يردون بقولهم مجدولة جدولة العصب وقلة الاسترخاء، وأن تكون سليمة من الزوائد والفضول، لذلك قالوا خمصانة وسيفانة، وكأنها جدل عنانٍ وغصن بانٍ وقضيب خيزران.^١

والتشي من مشية المرأة أحسن ما فيها. ولا يمكن ذلك الضخمة والسمينة. ووصفوا المجدولة فقالوا: أعلاها قضيبٌ، وأسفلها كتيبٌ.

وقال بعض الأعراب:

لها قسمة من خوط بانٍ ومن نقى ... ومن رشأ الغزلان جيد ومذرف
يكاد كليل الطرف يكله خدّها ... إذا ما بدت من خدرها حين تطرف

^١ أخبار النساء ص ٢٣٢

وقال آخر:

ومجدولةٍ جدل العنان إذا مشت ... تنوء بخصريها ثقال الرّوادف

وقال آخر:

ومجدولةٌ، أمّا مجال وشاحها ... فغُضُّ، وأمّا ردفها فكثيب

لها القمر السّاري نصيبٌ، وإنّها ... لتطلع أحياناً له فيغيب.

وقال أبو نواس. وقد أحسن ما شاء:

أحللت من قلبي هواك محلّةً ... ما حلّها المشروب والمأكول

بكمال صورتك التي في مثلها ... يتحير التشبيه والتّمثيل

فوق القصيرة، والطويلة فوقها؛ .. دون السّمين، ودونها المهزول.^١

وأما قول الأعشى حيث يقول:

غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينا كما يمشي الوحى الوجل

كأنّ مشيتها من بيت جاريتها ... مرّ السّحابة لا ريث ولا عجل

فقد وصفها كما ترى بالضّم، ولكنّه يذكر أفراطاً.

وقال الأحوص:

من المدمجات اللّحم جدلاً كأنّها ... عنانٌ ضاع أنعمت أن تجودا

^١ ملحق الأغاني (أخبار أبي نواس) ٨١/١

أنشد للمرار بن سعيد

صلبة الخدّ طويلٌ جيدها ... سجمة الثدي ولما ينكسر

وقال النّابغة في النّهود:

يحططن بالعيدان في كلّ مقعدٍ ... ويخبّآن رمان الثدي النّواهد

وأنشد لمسلم بن الوليد:

فأقسمت أنسى الدّاعيات إلى الصّبي ... وقد فجأتها العين والشّرّ واقع

فغطّت بأيديها ثمار صدورها ... كأيدي الأسارى أثقلتها الجوامع

وذمّ أعرابيّ امرأة فقال: والله ما بطنها بوالدٍ، ولا شعرها بواردٍ، ولا ثديها

بناهدٍ، ولا فوهها بباردٍ.^١

وكتب الحجاج بن يوسف إلى الحكم بن أيّوب قال: اخطب على عبد

الملك امرأة جميلة من بعيدٍ، مليحة من قريبٍ، شريفة في قومها، ذليلة في

نفسها، أمة لبعْلِها. فكتب إليه: أصبتها، وهي خولة بنت مسمع، لولا عظم

ثديها! فكتب إليه الحجاج: لا يحسن بدن المرأة حتّى يعظم ثدياها فتدفي

الصّبيح، وتروي الرّضيع.^٢

وقال آخر يذمّ عظم الثدي:

^١ أخبار النساء ص ٢٣٥

^٢ العقد الفريد ١١٥/٧

لعمري ليضّ يحتلن بقفزة ... لطائف ثدي الصّدر غيد السّوالف
أحبّ إلينا من ضخام بطونها ... لأباطها تحت الثدي تعاطف

وقال آخر في الممسوحة التي لم يبد بصدرها شيء:
وعلّقت ليلى وهي بكرٌ خريده ... ولم يبد للأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم، يا ليت أنّني ... إلى اليوم لم تكبر ولم تكبر البهم
وقال نصيب:

ولولا أن يقال: صبا نصيب ... لقلت: بنفسى النّشو الصّغار
بنفسى كلّ مهضوم حشاها ... إذا ظلمت فليس لها انتصار
إذا ما الزّل ضاعفن الحشايا ... كفاها أن يلاث بها الإزار
وقال ذو الرّمة:

بعيدات مهوى كلّ قرطٍ عقدنه ... لطاف الحشا تحت الثدي الفوالك
وذكر آخر ابتداء النّهود فقال:

نظرت إليها نظرةً وهي عاتق ... على حين شبّت واستبان نهودها

وليس في الحيوان شيءٌ واسع الصدر غير الإنسان. ولا في جميع الحيوان
أنثى في صدرها ثديٌّ إلا المرأة والفيلة، وكذلك الرجل. والعرب تمدح
الرجال والنساء بطول الأعناق.^١ قال الشاعر:

ومن كل شيءٍ قد قضيت لبانتي ... سوى ضخم أعجازٍ ثقال الروادف
وهصري أعناقاً تلين وتنشي ... كما كان خيطان الأراك الصعائف
وقيل لإبراهيم بن النّظام: أيّ مقادير الثدي أحمد؟ قال: وجدت الناس
يختلفون في الشهوات، وسمعت الله تبارك وتعالى حين وصف حور العين
جعلهنّ كواعب أتراباً. ولم يقل فوالك ولا نواهد. وقالت العرب: يسار
الكواعب. ولم تقل يسار النّواهد ولا يسار الفوالك.^٢

ولم أرهم يختلفون في مدح عظم الرّكب كما اختلفوا في مقادير الثدي في
طول الأعناق. يقول الشّمر دل.

ويشبهون ملوكاً في مهابتهم ... وطول أنصبه الأعناق والأمم

وقال آخر:

طوال أنصبه الأعناق لم يجدوا ... ريح الإماء إذا راحت بأذفار.

^١ أخبار النساء ص ٢٣٧

^٢ محاضرات الأدباء ٢/٣٣٣

وهوة حسنٌ ما لم يطل جدًّا، فإذا أفرط كان عيبًا. كما عيب بذلك واصل
بن عطاء رئيس المعتزلة فسَمّي عنق نعامه، وعيب بذلك جعفر بن يحيى
البرمكي.^١

وكذلك قال فيه الحسن بن هانئ:

ذاك الوزير الذي طاولت علاوته ... كأنّه ناخرٌ في السيف بالطول
وقد زعموا أنّه أوّل من اتّخذ هذا الأطواق العراض، فاستحسنها الناس
بعده، فاتّخذوها.^٢

وفي صفة الأعكان^٣ يقول يزيد بن معاوية:

لها عكنٌ بيضٌ كأنّ غضونها ... إذا شَفَّ عنها السّابري فдах
وقال أبو الطيّب المتنبّي:

يضمّها المسك ضمّ المستهام بها ... حتّى يصير على الأعكان أعكانا
وقال آخر:

غراء واضحة أقراب خرعبة ... طوع العناق فلا بكرٌ ولا نصف

^١ أخبار النساء ص ٢٣٧

^٢ أخبار النساء ص ٢٣٨

^٣ الأعكان: جمع عكنة، وهي طي البطن.

وقال التّابغة الدّيباني:

والبطن ذو عكنٍ لطيفٍ طيّه، ... والنّحر ينفجه بشدي معقّد
محطّوطة المتنين غير مفاضةٍ ... رياء الرّوادف بضّة المتجرّد
وإذا لمست، لمست أجثم جاثماً ... متحيّزاً بمكانه ملء اليد
وإذا نزعت، نزعت عن مستحصفٍ ... نزع الحزورّ بالرّشاء المخضد
وأشد لأعرابيٍّ آخر:

لما رأيت أنّ الرّحيل قد حان ... قامت تهادئ في رقيق الكتّان
بواضح الوجه قليل الخيلان ... وعكن مثل متون الغزلان
وقال الفرزدق:

إذا بطحت فوق الأثافي رفعتها ... بشدين في صدرٍ عريضٍ وكعشب
فزعم أنّها إذا بطحت على وجهها لم تمسّ الأرض بشيءٍ من سائر
جسدها إلّا نهود ثدييها وعظم ركبها فصارت لبدنها كأثافي القدر.^١
وقال عبد بني الحسحاس:

من كلّ بيضاءٍ لها كعشب ... مثل سنام البكرة المائل

^١ أخبار النساء ص ٢٣٩

وحلف ابن مطيع الليثي الشاعر أن جاريته خردانة كانت تستلقي على ظهرها فتشخص كتفاها ومنكباها حتى لقد كان يتدحرج الرمان والأترج من تحت خصرها.

قالوا: كانت الزباء بنت عبد الله تصب جرّة الماء على رأسها فلا يصيب فخذيها للبد عجيزتها.

وقال الشاعر:

نفج الجفينة لا ترى لكعوبها حجماً وليس لساقها ظنبوب
عظمت روادفها وسهل وجهها ... والوالدان نجيبه ونجيب
ومن مליح ما قيل في هذا، قول الأعرابي:

أبت الروادف والثديّ لقمصها ... مس البطون وإن تمس ظهورا
وإذا الرياح مع العشيّ تناوحت ... نبهن حاسدة وهجن غيورا
والعرب تمدح الملوك بسعة العيون كما يصفون ذلك النساء
ويستحسنونه.

قال ذو الرمة:

ومخلّق للملك أبيض قد غمز ... أشمّ ألج العين كالقمر البدر

لما أنشد بشّار بن برد قول الشاعر:

ألا إنّما ليلي عصا خيزرانة... إذا لمسوها بالأكفّ تلين

ضحك بشار من قوله عصا خيزرانة وقال: لو زعم أنّها عصا رندٍ أو عصا
ندّ لهجنّها وكان ذلك خطأً بعد أن جعلها عصاً. فهلاًّ قال كما قلت:

إذا قامت لسبحتها^١ تثت... كأنّ عظامها من خيزران^٢

وكانت ميمونة عند هشام بن عبد الملك، خلف عليها بعد العزيز قال: لو
أنّ رجلاً ابتلع ميمونة ما اعترض في حلقة منها شيءٌ لّينها. وقال بشار:

إذا مشت نحو بيت جارتها... خلّت من الرّمل خلفها حقف

يرتجّ من مرطها مؤزّرها... وفوقه غصن بانية قصف.^٣

وقد قيل في الضّخمة:

قليلة لحم النّاظرين يزيّنها... شبابٌ ومخفوضٌ من العيش بارد

أرادت لتنتاش الرّواق فلم تقم... إليه ولكنّ طأطأته الولائد.^٤

وأنشد أيضاً:

^١ السبحة: صلاة النافلة.

^٢ الكامل في اللغة والأدب ٨٥/٣

^٣ أخبار النساء ص ٢٤١

^٤ محاضرات الأدباء ٣٣٦/٢

وتبدي على المتن من شعرها ... عناقيد كرم تدلين سودا
 ويجري السواك على بارد ... لذيد من الدرّ يدي نضيدا
 وما زانها العقد لكنّها ... تزيّن بالنحر منها العقودا
 كشمس الضحى بين أترابها ... موافين يوماً ليشهدن عيدا
 فكم من قتيل بتلك العيون ... وكم من قتيل تولّى عميدا
 فإن يك عني قسا قلبها ... فلم يجعل الله قلبي حديدا
 أعيذك بالله أن تشتمي ... بنا واشياً أو تطيعي حسودا^١
 وقال جران العود، وقد تزوّج فلقي منها برحاً، وكانت حسنة الشعر فقال:
 ألا لا يغرنّ امرؤ نوفليّة ... على الرأس منها أو ترائب وضح
 ولا فاحمّ يشفي الدهان كأنّه ... أساود يزهاها بعينيك أفتح
 وأنشد لآخر:

لا تنه قلبك أن يتوق إلى الحما ... إنّ القلوب إلى سعاد تتوق
 فرعاء تسحب من قيام شعرها ... وتغيب فيه وهو جثل مونق
 فكأنّه ليّل عليها مغدّف ... وكأنّها فيه نهار مشرق
 وأنشد لآخر:

مقدورةٌ ما أن لها مثل لي عندها العبرات والخبل
فلشعرها من شعرها زجل ولعينها من عينها كحل
إن شئت قلت، إذا هي انصرفت بين الروادف والحشا نصل
وأنشد لآخر وذكر طول العنق:

وأعجبني فيها غداة لقيتها ... تبلبل أردافٍ لها ومحاجر
وجيد كأملود الرّخامى رعايةً ... بمنهلةً صبت عليه الغدائر

قال بعضهم:

ومقبّل عذب المذاق كأنه ... برّد تحدّر من غمام ماطر
هنّ الدّواء لدائنا، وشفّاؤنا ... من كلّ داءٍ باطنٍ أو ظاهر.

وقال ذو الرّمة:

لمياء في شفيتها حوةٌ لعسٍ ... وفي اللّثة وفي أنيابها شنب
والعرب يزعمون أنّ أطيّب الأفواه أفواه الطّباء؛ كما أنّ أبعارها أطيّب
رائحةً من سائر الأباعر. ويزعمون أنّ ليس في السّباع أطيّب أفوهاً من
الكلاب. وفي النّاس أطيّب أفوهاً من الزّنج. ويزعمون أنّ علّة ذلك كثرة

الرّيق، لأنّ علّة الخلوف، جفوف الرّيق، والبخر يحدثه الكبر وقد اعترى
إشرافاً من النّاس.^١

وقال حسين بن مطير:

بمرتجّة الأرداف هيفٌ خصورها ... عذابٌ ثناياها عجافٌ قيودها^٢
يريد أنّها صلابٌ عجافٌ غير وارمةٍ ولا مسترخيةٍ والسّواك يوهنها ويزيلها
عن أماكنها.

قال الزّبير بن بكار: دخلت عزةً على أمّ البنين بنت عبد العزيز فقالت:
أقسمت عليك بأيّ شيءٍ وعدت كثيراً حيث يقول:
قضى كلّ دينٍ فوقيّ غريمه ... وعزةٌ ممطوّلٌ معنّى غريمها
قالت لها: وعدته فمطلته سنةً، فلمّا ألحّ في التّقاضي هجرته، فضمّني وإياه
طريقٌ بعد حينٍ فاستحييت منه فقلت: حيّاك الله يا جمل، ولم أحياه، فقال:
حيّتك عزةٌ بعد الهجر وانصرفت ... فحيّ ويحك من حيّاك يا جمل
ليت التّحيّة كانت لي فأجعلها ... مكان: يا جمل؛ حيّاك يا رجل

^١ أخبار النساء ص ٢٤٤

^٢ خزّانة الأدب ٤٧٣/٥

وهو على تقاضيه إلى اليوم. قالت: أقسمت عليك، ألا قضيته إياه وإثمه في عنقي؟.

قال أبو عبيدة: كان بأرض الحجاز رجل له ابنة جميلة فهيها ابن عم لها فبذل لها أربعة آلاف درهم، فأبى أبوها أن يزوجه منها، وأجدبت البادية، فدخل ابن عمها على عمه ذات يوم فشكا إليه ما يلقي. فقال له: قد كنت بذلت لنا أربعة آلاف درهم، فأعطنا إياها، فأنت أحب إلينا لقربتك. قال له: أجّلني شهراً. فأجله، ولم يكن مع الفتى إلا ناقة، فركبها ومضى إلى عبد الملك بن مروان فطلب الإذن فلم يؤذن له. فقال: إني رسول فلان عامل أمير المؤمنين على الحجاز. فأدخل عليه من ساعته. قال: معك كتاب من فلان؟ قال: لا، قال فرسالة؟ فأنشأ يقول:

ماذا يقول أمير المؤمنين لمن أدلى إليك بلاقربى ولا سبب
مدّله، عقله من حبّ جارية موصوفة بكمال الحسن والأدب
خطبتها إذ رأيت الناس قد لهجوا بذكرها، والهوى يدعو إلى العطب
فقلت، لي حسبّ زالك، ولي شرف قالوا: الدّراهم خير من ذوي الحساب
إنّا نريد ألوفاً منك أربعة ولست أملك غير الحسّ والقتب
فامن عليّ، أمير المؤمنين، بها، واجمع بها شمل هذا البائس العرب

فما وراءك ، بعد الله ، مطّلبٌ أنت الرّجاء وأقصى غاية الطّلب
فضحك عبد الملك وأمر له بأربعة آلاف درهمٍ، وقال هذا صداق أهلك،
وزاده أربعة أخرى وقال له أولم بهذه، وأنفق عليها منها. فقبضها ومضى.
فتزوّج بالجارية.^١

وكان إسحاق بن سليمان بن علي شابّاً ظريفاً، محبّاً للشّعر. فخرج ذات
يوم، وأبوه يلي البصرة، لأبي جعفر المنصور، متنزّهاً إلى ناحية البادية. فلقي
أعرابيّاً فصيحاً إلاّ أنّه شاحب اللون، مصفراً، ظاهر النّحول فاستنشده،
فمضى عنه، فقال له ما بالك، فوالله، إنّك لفصيحٌ! قال له أما ترى الجبلين؟
قال: قلت بلّى. قال: في طلاهما ما شغلني عن إنشادك. قلت: وما ذاك؟ قال:
ابنة عملي قد تيمّنتني، وأذهلت عقلي، وتالله أنّه يأتي عليّ لا أدري أفي السّماء
أنا أم في الأرض. قال: قلت وما يمنعك منه؟ قال: قلّ ذات يدي!. قلت: وكم
مهرها؟ قال خمسون ناقةً. قال: قلت: فيزوّجوك إذا دفعته؟ قال: نعم.
فقلت له أنشد لي ممّا قلت فيها! فأنشدني:

سعى العلم الفرد الذي في طلاله ... غزالان مكحولان يرتعيان

أرعتهما صيداً فلم أستطعهما ... وخبلاً ففاتاني وقد خبلاني.

قال. فقلت له: يا أعرابي، لقد قتلني بقتلك، فنفيت من العباس إن لم أقم بأمرك. فرجع إلى البصرة فأخذ جماعةً من أهله وما احتاج إليه، وحمل معه الأعرابي، وسار إلى الجارية فخطبها إلى الفتى، فزوجه، وساق إليه خمسين ناقةً وأقام عندهم ثلاثة أيامٍ نحر فيها ثلاثين جزوراً، ووهب للأعرابي وللجارية مثل ذلك، وانصرف إلى البصرة.^١

قال نفطويه: لما فرغ المهدي من بناء قصره ركب للنظر إليه، فدخله فجأةً وأخرج من هناك من الناس، فبقي رجلان خفيان عن أبصار الأعوان، فرأى المهدي أحدهما وهو دهش ممّا يفعل فقال له: ممّن أنت؟ قال: أنا أنا قال: ويلك: لا أدري! قال: لك حاجة؟ قال: لا. قال أخرجوه أخرج الله نفسه فدفع في قفاه، فلما أخرج قال لبعض الغلمان: اتبعه من حيث لا يعلم حتّى يصل إلى منزله، فاسأله عن صنعته فإنّي أخاله حاكماً. فخرج الغلام يقفوه ثمّ أتى الآخر فاستنطقه فأجابه بقلبٍ جريءٍ، ولسانٍ طليقٍ، قال له: من أنت؟ قال: رجلٌ من أبناء رجال دعوتك. قال: فما جاء بك إلى ههنا؟ قال: جئت لأنظر إلى هذا البناء الحسن، وأتمتع بالنظر إليه، وأكثر الدّعاء لأمير المؤمنين بطول

البقاء ودوام العزّ، وهلاك الأعداء. قال: ألك حاجة؟ قال: نعم، خطبت ابنة عمّي فردّني وقال: لا مال لك. وإنّي لها عاشقٌ، وبها وامقٌ، قال: قد أمرت لك بخمسين ألف درهم قال: جعلني الله فداك، يا أمير المؤمنين، قد وصلت فأجزلت الصّلة، ومننت فأعظمت المنّة. فجعل الله باقي عمرك أكثر من ماضيه، وآخر أيّامك خيراً من أوّلها، وأمتعك بما به أنعم عليك، وأمتع بك رعيّتك. فأمر أن تعجّل صلته ووجّه بـغلامٍ آخر معه قال: سل عن مهنته فإنّي أخاله كاتباً: فرجع الرّسولان جميعاً فقال الرّسول الأول: وجدت الرّجل حائكاً، ولم يرجع إليه قلبه، ولا ثاب إلى نفسه. وقال الآخر: وجدت الرّجل كاتباً. فقال المهدي أنا ابن المنصور لا يخفى عنّي مخاطبة الكاتب والحائك.^١

قال أحمد بن أبي خثعمة: أخبرني مولاة، كانت لآل جعفر بن أبي جعفر المنصور، قالت: علق عيسى بن جعفر جاريةً لأمّ ولده فمنعته إيّاها غيرَةً عليه، وتبعته نفسه، فدست جاريةً لعيسى يقال لها برير إلى مولاتها في أن تبعها منها، وأرغبته، فباعته منها، فأخذتها برير فصنعته وكانت لبرير من عيسى ليلةً فوجّه إليها بخلعةٍ وبقدحٍ غاليةٍ تضمخ به شعرها.

^١ أخبار النساء ص ٢٤٩

فلما كانت ليلتها ألبست الجارية الخلعة وضمخت رأسها ووجهت بها إليه، فلما رآها سألها عن حالها فأخبرته بالخبر. وإنها أثرت هوى نفسه على هوى نفسها. فسرّ بذلك ودعا ببرير فأعتقها وتزوج بها ومهرها ضياعاً بالكوفة لها قدر. فقالت برير: إن من شكر الله على ما وهب لي من رأي أمير المؤمنين أن أجعل ما أعطاني من هذه الضياع قربةً لله عزّ وجل، تجري للأمير وليّ أجرها. فأوقفها على أهل بيت من الأنصار منهم ابن معاذ فلم يزل ذلك يجري عليهم.^١

قال إبراهيم بن المهدي: حججت مع الرشيد، فلما كنا بالمدينة خرجت إلى العقيق أسير على دابتي وليس معي غلامٌ، فوقفت على بئر عروة وعليها جارية سوداء وفي يدها دلوّ تملأ قربةً لها، فقلت: يا هذه اسقني. فنظرت إليّ وقالت: أنا مشغولةٌ عنك. فقرعت قربوسي بمقرعتي موقعاً بها على القربوس، وغنّيت. فلما سمعت ذلك مني ملأت دلوها وبادرت به إليّ وقالت: اشرب يا عمّ فشربت، فقلت: بالله يا عمّ أين أهلك أحمل إليهم هذه القرية؟ فقلت: بين يدي. فمضت معي حتّى أتت المضرب فلما رأت الولدان والخدم ذعرت، فقلت لها: لا بأس عليك. وأخذت الماء وأمرت من وصله، فقال لي الغلمان: قد جاء رسول أمير المؤمنين مراراً فمضيت إليه، فقال لي:

أين كنت؟ فأخبرته بخبر الجارية، فأمر بطلبها، فأتي بها، فأمر بابتياعها من مولاهما، وأعتقها، وقال لها: هل من تودّينه يودّك وتحبّينه يحبّك؟ قالت: نعم عبدٌ لآل فلان. فأمر بابتياعه وأعتقه ثمّ زوّجها إيّاه، وأمر لهما بمالٍ^١.

حجّ الرّشيد سنة إحدى عشرة من خلافته، فلمّا نزل بالكوفة، بعد قفوله من الحج، دعا إسماعيل بن صبيح فقال: إنّي أردت الليلة أن أطوف في محال الكوفة وقبائلها فتأهّب لذلك، قلت: نعم. فلمّا مضى ثلث الليل قام وقمت معه، وركب حماراً وركبت أنا آخر، ومعني خادمٌ ومعه خادمٌ من خاصّة خدمه. فلم نزل نطوف المحال والقبائل حتّى انتهينا إلى النّخع فسمعنا كلاماً. فقال الرّشيد لأحد الخادمين: أدن من الباب وتعرّف ما هذا الكلام؟ فتطلّع من موضعٍ في الباب فرأى نساءً يغزلن حول مصباحٍ وجاريةٍ منهنّ تنشد شعراً وتردّد أبياته وتتبع كلّ بيتٍ برنةٍ وأنّةٍ، وتبدي زفرةً: وتفيض عبرةً، والنّسوان اللواتي معها يبكين لبكائها فحفظ الخادم من شعرها هذه الأبيات:

هل أرى وجه حبيبٍ شفني، بعد فقدانيه، أفراط الجزع؛

قد برئ شوقي إليه أعظمي، وبلى قلبي هواه وفزع

ليت دهرًا مرّ، والقلب به جذلٌ، والعيش حلٌّ قد رجع
وعفت آثاره منه فيا، ليت شعري، ما به الدّهر صنع؟
قد تمسّكت علىّ وجدي به بجميل الصّبر، لو كان نفع.

فقال للخادمين: أعرفا الموضع إلى غد. ورجعنا إلى البصرة، فلمّا طلع
الفجر وفرغ من صلاته وتسيّحه، قال للخادمين: أمضيا إلى الدّار فإن كان
فيها رجلٌ من وجوه الحيّ فجيئًا به حتّى أسأله عمّا أريده. فسار الخادمان إلى
الدّار فلم يجدا فيها رجلاً، فدخلوا إلى مسجد الحيّ فقالا لأهله: أمير
المؤمنين يقرأ عليكم السّلام ويقول لكم: أحببت أن يجيئني منكم أربعة
أسألهم عن أمرٍ. قالوا: سمعًا وطاعةً. وقاموا معهما فدخلوا على الرّشيد،
فقرّبهم وأدناهم، وقال لهم: طفت البارحة في بلدكم تفقّدًا لأحوالكم،
فسمعت في دارٍ من دياركم امرأةً تنشد شعراً وتبكي. وقد خفت أكون مغيبةً،
وأنّ نزاع النّفس أهون من نزاع الشّوق، وقطع الأوصال أهون من قطع
الوصال، وقد أحببت أن أعرف خبرها منكم.

قالوا: يا أمير المؤمنين، هذه البارعة بنت عوف بن سهم كان أبوها زوجها
ابن عمّ لها يقال له سليمان بن همام على عشرة آلاف درهم، فهلك أبواهما
من قبل أن يجتمعا، فاكتتب زوجها مع عاملك إلى اليمن لقلّة ذات يده،
وخرج منذ خمس سنين، فحزنت عليه، وطال شوقها إليه، فهي تنشد الأشعار

فيه وتستريح إلى ذكره. فأمر الرّشيد من ساعته أن يكتب إلى عامله باليمن في حمل سليمان بن همام على البريد إلى حضرته إلى بغداد.

فما مضت أيّامٌ بعد وصول الرّشيد حتّى دخل عليه إسماعيل بن صبيح، فقال: يا أمير المؤمنين قد وصل النّخعي الذي أمرت بحمله إليك. فأمر بإدخاله عليه، فنظر إلى رجلٍ معتدل القامة، ظاهر الوسامة، ذرب اللسان، حسن البيان، فقال: أنت سليمان بن همام؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين. قال له: أقصص عليّ خبرك! فقصّ عليه الخبر فوجده مطابقاً لما خبره به الأربعة النّفر، فأمر له بعشرين ألف درهم، فأخذ ذلك من يومه ورحل إلى الكوفة فدخل بأهله وكان الرّشيد يتعاهده ببرّه.^١

^١ أخبار النساء ص ٢٥١

رأي المرأة بالرجل

ذكروا أن الأخطل كانت عنده امرأة، وكان بها معجبا، قطلقها وتزوج بمطلقة رجل من بني تغلب، وكانت بالتغليبي معجبة، فبينا هي ذات يوم جالسة مع الأخطل، إذ ذكرت زوجها الأول، فتنفست الصعداء، ثم ذرفت دموعها، فعرف الأخطل ما بها، فذكر امرأته الأولى، وأنشأ يقول:

كلانا على وجدٍ بيت كأنما ... بجنيبه من مس الفراش قروح

على زوجها الماضي تنوح وزوجها ... على الطلة الأولى كذاك ينوح^١

قيل: وخاصمت امرأة زوجها إلى زياد فجعلت تعيبه، وتقع فيه، فقال الزوج: «أصلح الله الأمير، إن شر المرأة كبرها، إن المرأة إذا كبرت عقم رحمها، وبذا لسانها، وساء خلقها، والرجل إذا كبر استحکم رأيه، وقل جهله» . قال: «صدقت» ، وحكم له بها.^٢

وذكروا أن امرأة أتت عبيد الله بن زياد، وكانت ذات شحم وجسم وجمال، مستعدية على زوجها، وكان أسود دميم الخلقة، فقال: «ما بال هذه المرأة تشكوك» ؟ قال: «أصبح الله الأمير سلها عما ترى من جسمها وشحمها

^١ المحاسن والأضداد ص ٢٠٩

^٢ المحاسن والأضداد ص ٢٠٩

أمن طعامي أم من طعام غيري؟ قالت: «من طعامك، أفتمن عليّ بطعام أطعبيه، والكلاب تأكل؟ قال: «سلها عن كسوتها من مالي هي أم من مال غيري؟ قالت: «من مالك، أفتمن علي بثوب كسوتي»، قال: «وسلها عما في بطنها مني هو أم من غيري؟ قالت: «منك ووددت أنه في بطني من كلب» ، قال الرجل: «أصلح الله الأمير فما تريد المرأة إلا أن تطعم وتكسي وتنكح» ، قال: «صدقت فخذ بيدها»^١.

قال: خرج رجل مع قتيبة بن مسلم إلى خراسان، وخلف امرأة يقال لها هند من أجمل نساء زمانها، فلبث هناك سنين، فاشترى جارية اسمها جمانة، وكان له فرس يسميه الورد فوقعت الجارية منه موقعاً، فأنشأ يقول:

ألا لا أبالي اليوم ما فعلت هند إذا بقيت عندي الجمانة والورد
شديد مناط القصرين إذا جرى وبيضاء مثل الرئم زينها العقد
فهذا لأيام الهياج وهذه لحاجة نفسي حين ينصرف الجند
فبلغ ذلك هنداً فكتبت إليه:

ألا أقره مني السلام وقل له ... عينا بفتيان غطارفة مرد
فهذا أمير المؤمنين أميرهم ... سبانا وأغناكم أراذلة الجند

إذا شاء منهم ناشيء مد كفه ... إلى كبد ملساء أو كفلٍ نهد

فلما قرأ كتابها، أتى به إلى قتيبة، فأعطاه إياه، فقال له: «أبعدك الله، هكذا يفعل بالحرّة» وأذن له في الانصراف.^١

قال وسمع عمر بن الخطاب امرأة تنشد وتقول:

فمنهن من تسقى بعذبٍ مبردٍ ... نقاخٍ فتلكم عند ذلك قرت

ومنهن من تسقى بأخضر آجنٍ ... أجاجٍ فلولا خشية الله فرت

فأمر بإحضار زوجها، فوجده متغير الفم، فخيرته جارية من المغنم أو خمسمائة درهم على طلاقها، فاخترت الخمسمائة، فدفعت إليه، وخلي سبيلها.^٢

وحكي عن الفضل بن الربيع أنه كان بمكة، ومعه الفرج الرخجي، وكان الفضل صبيحاً ظريفاً، والفرج دميماً قبيحاً، فخرجا إلى الطواف، ثم انصرفا إلى بعض طرقات مكة، وقعدا يتغديان؛ فبينما هما كذلك على طعامهما، إذ وقفت عليهما امرأة جميلة بهية، حسنة شكلة، وعليها برقع، فرفعته عن وجهها، فإذا وجه كالدينار، وذراع كالجمار، فسلمت وقعدت، وجعلت تأكل معهما. قال الفضل: فأعجبني ما رأيت من جمالها وهيئتها، فقلت: «هل لك

^١ المحاسن والأضداد ص ٢١٠

^٢ العقد الفريد ٢/٢٩٦

من بعل؟ قالت: «لا»، قلت: «فهل لك في بعل من أصحاب أمير المؤمنين، حسن الخلق والخلق؟» قالت: «وأين هو؟ فأشار إلى فرج، فقالت: «جوابك عند فراغنا»، فلما أكلت قالت للفضل: «تقرأ شيئاً من كتاب الله؟» قال: «نعم»، قالت: «أفتؤمن به؟» قال:

«نعم»، قالت: «فإن الله يقول: «ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً»، فضحك الفضل، ودخل على الرشيد فأخبره فأمر بإحضارها، فلما نظر إليها، أعجب بها، فتزوجها وحملها إلى مدينة السلام.^١

قال: وحج إسماعيل بن طريح، فوقفت عليه أعرابية جميلة. قال: فقال لها: «هل لك أن تزوجيني نفسك؟» فقالت من غير توقف:

بكي الحسب الزكي بعين غزيرة... من الحسب المنقوص أن يجمعاً معا وانصرف.

قال العتبي: كنت كثير الزوج، فمررت بامرأة فأعجبني فأرسلت إليها: «ألك زوج؟» قالت: «لا»، فصرت إليها، فوصفت لها نفسي، وعرفتها موضعي فقالت: «حسبك قد عرفناك»، فقلت لها: «زوجيني نفسك»، فقالت: «نعم ولكن ههنا شيء تحتمله»، قلت: «وما هو؟» قالت: «بياض في مفرق

^١ المحاسن والأضداد ص ٢١١

رأسي» ، قال: فانصرفت، فصاحت بي: «ارجع» ، فرجعت إليها فأسفرت عن رأسها فنظرت إلى وجه حسن، وشعر أسود، فقالت: «إنا كرهننا منك، عافاك الله، ما كرهت منا» وأنشدت:

أرى شيب الرجال من الغواني ... بموضع شيبهن من الرجال^١

وعن عطاء بن مصعب قال: جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: «يا أمير المؤمنين لا أنا ولا زوجي» ، فقال لها: «وما لك من زوجك؟» قالت: «مر بإحضاره» ، فأحضر، فإذا رجل قذر الثياب قد طال شعر جسده وأنفه ورأسه، فأمر عمر أن يؤخذ من شعره، ويدخل الحمام، ويكسى ثوبين أبيضين، ثم يؤتى به، ففعل ذلك، ودعا المرأة فلما رأت الزوج قالت: «الآن» ، فقال لها عمر: «اتقي الله، وأطيعي زوجك» ، قالت: «افعل يا أمير المؤمنين» . فلما ولّت قال عمر: «تصنعوا للنساء فأنهن يحببن منكم ما تحبون منهن» .^٢ ويقال: «إن المرأة تحب أربعين سنة، وتقوى على كتمان ذلك، وتبغض يوماً واحداً، فيظهر ذلك بوجهها ولسانها، والرجل يبغض

^١ التذكرة الحمدونية ٦/٣٠ ، ربيع الأبرار ٣/٤٣ ، المحاسن والأضداد ص ٢١١

^٢ المحاسن والأضداد ص ٢١٢

أربعين سنة فيقوى على كتمان ذلك، وإن أحب يوماً واحداً شهدت
جوارحه»^١.

^١ المحاسن والأضداد ص ٢١٢

باب ما جاء في وصف النساء

قال معاوية لصعصعة: أيّ النساء أحبّ إليك؟ قال: المواتية لك فيما تهوى.
قال: فأيهن أبغض إليك؟ قال: أبعدهنّ لما ترضى. قال معاوية: هذا النّقد العاجل.
فقال صعصعة: بالميزان العادل.

وقال معاوية: ما رأيت نهماً في النساء إلّا عرف ذلك في وجهها.
شكت امرأةٌ إلى زوجها قلةً إتيانه إليها، فقال لها: أنا وأنت على قضاء عمر.
قالت: قضى عمر أنّ الرجل إذا أتى امرأته في كلّ طهرٍ فقد أدّى حقّها.
وقع بين امرأةٍ وزوجها شرٌّ فجعل يكثر عليها بالجماع، فقالت له: أبعدك الله!
جاء رجلٌ إلى علي، رضي الله عنه، فقال له: إنّ لي امرأةً كلّما غشيتها تقول
قتلتنّي. فقال: اقتلها وعليّ إثمها.

غزا ابن هبيرة الغساني الحارث بن عمر فلم يصبه في منزله، فأخرج ما وجد له،
واستاق امرأته فأصابها في الطّريق، وكانت من الجمال في نهايةٍ، فأعجبت به،
فقالت: له أنج فوالله لكأنّي به يتبعك كأنّه بغيرٍ أكل مراراً. فبلغ الخبر الحارث فأقبل
يتبعه حتّى لحقه فقتله، وأخذ ما كان معه، وأخذ امرأته. فقال لها: هل أصابك؟

فقلت: نعم، والله ما اشتملت النساء على مثله قط. فلطمها ثم أمر بها فوثقت بين فرسين ثم أحضرهما حتى تقطعت. ثم أنشأ:

كل أنثى وإن بدا لك منها ... آية الود حبها خيتور
إن من غره النساء بود ... بعد هذا لجاهل مغرور
قال بعض الحكماء: لم تنه قط امرأة عن شيء إلا فعلته. للغوي:
إن النساء متى ينهاين عن خلق ... فإنه واقع لا بدّ مفعول
ولغيره:

لا تأمن الأنثى حبتك بودها ... إن النساء ودادهنّ مقسم
اليوم عندك دلها وحديثها ... وغداً لغيرك كفها والمعصم

سئل أعرابي عن النساء، وكان ذا همّ بهنّ، فقال: أفضل النساء أطولهنّ إذا قامت وأعظمنّ إذا قعدت، وأصدقهنّ إذا قالت، التي إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسّمت، وإذا صنعت شيئاً جوّدت؛ التي تطيع زوجها، وتلزم بيتها؛ العزيزة في قومها، الدّيلة في نفسها، الولود، التي كلّ أمرها محمود.^١

^١ أخبار النساء ابن الجوزي ص ١٠ ط دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، العقد الفريد ٣/٣٥٤

^٢ البصائر والذخائر أبو حيان التوحّيدي ١٩٣/٨ ط دار صادر - بيروت، العقد الفريد ٧/١١٦، أخبار النساء

طلّق رجلٌ امرأته، فقالت له: أبعد صحبةً خمسين سنةً قال: ما لك عندنا ذنبٌ غيره؟.

قال عبد الملك بن مروان: من أراد أن يتّخذ جاريةً للمتعة، فليتّخذها بربريةً ومن أراد للولد فليتّخذها فارسيّةً؛ ومن أرادها للخدمة فليتّخذها روميّةً.

قال الأصمعي: بنات العمّ أصبر، والغرائب أنجب. وما ضرب رؤوس الأبطال كابن عجميّة.

ذكر أنّ معاوية بن أبي سفيان جلس ذات يومٍ بمجلسٍ كان له بدمشق على قارعة الطريق، وكان المجلس مفتّح الجوانب لدخول النّسيم، فبينما هو على فراشه وأهل مملكته بين يديه، إذ نظر إلى رجلٍ يمشي نحوه وهو يسرع في مشيته راجلاً حافياً، وكان ذلك اليوم شديد الحرّ، فتأمّله معاوية ثمّ قال لجلسائه: لم يخلق الله ممّن أحتاج إلى نفسه في مثل هذا اليوم. ثمّ قال: يا غلام سرّ إليه واكشف عن حاله وقصّته فوالله لئن كان فقيراً لأغنيّه، ولئن كان شاكياً لأنصفنّه، ولئن كان مظلوماً لأنصرنّه، ولئن كان غنياً لأفقرنّه. فخرج إليه الرسول متلقياً فسلمّ عليه فردّ عليه السّلام. ثمّ قال له: ممّن الرّجل؟ قال: سيّدي أنا رجلٌ أعرابيٌّ من بني عذرة، أقبلت إلى أمير المؤمنين مشتكياً إليه بظلاميّة نزلت بي من بعض عمّاله. فقال له الرّسول: أصبحت يا أعرابي؟ ثمّ سار به حتّى وقف بين يديه فسلمّ عليه بالخلافة ثمّ أنشأ يقول:

معاوي يا ذا العلم والحلم والفضل ويا ذا الندى والجود والنابل الجزل

أتيتك لما ضاق في الأرض مذهبي فيا غيث لا تقطع رجائي من العدل

وجد لي بإنصافٍ من الجائر الذي شواني شيئاً كان أيسره قتلي

سباني سعدى وانبرى لخصومي وجار ولم يعدل، وأغصني أهلي

قصدت لأرجو نفعه فأثابني بسجنٍ وأنواع العذاب مع الكبل

وهمّ بقتلي غير أن منيتي تأبّت، ولم أستكمل الرزق من أجلي

أغني جزاك الله عنِّي جنّةً فقد طار من وجدٍ بسعدى لها عقلي

فلما فرغ من شعره قال له معاوية: يا إعرابي إني أراك تشتكي عاملاً من عمّالنا

ولم تسمعه لنا! قال: أصلح الله أمير المؤمنين، وهو والله ابن عمّك مروان بن

الحكم عامل المدينة. قال معاوية: وما قصّتك معه يا أعرابي. قال: أصلح الله

الأمير، كانت لي بنت عمّ خطبتها إلى أبيها فزوّجني منها. وكنت كلفاً بها لما كانت

فيه من كمال جمالها وعقلها والقراة. فبقيت معها يا أمير المؤمنين، في أصلح حالٍ

وأنعم بال، مسروراً زماناً، قرير العين. وكانت لي صرمةٌ من إبلٍ وشويها،

فكنت أعولها ونفسي بها. فدارت عليها أفضية الله وحوادث الدهر، فوقع فيها داءٌ

فذهبت بقدره الله. فبقيت لا أملك شيئاً، وصرت مهيناً مفكراً، قد ذهب عقلي،

وساءت حالي، وصرت ثقلاً على وجه الأرض. فلما بلغ ذلك أباهـا حال بيني

وبينها، وأنكرني، وجحدني، وطردي، ودفعها عنّي. فلم أقدر لنفسي بحيلةٍ ولا

نصرة. فأُتيت إلى عاملك مروان بن الحكم مشتكيًا بعمِّي، فبعث إليه، فلمّا وقف بين يديه، قال له مروان: يا أيّها الرّجل لم حلت بين ابن أخيك وزوجته؟ قال: أصلح الله الأمير، ليس له عندي زوجة ولا زوجته من ابنتي قط. قلت أنا: أصلح الله الأمير، أنا راضٍ بالجارية، فإن رأى الأمير أن يبعث إليها ويسمع منها ما تقول؟ فبعث إليها فأُتت الجارية مسرعةً، فلمّا وقفت بين يديه ونظر إليها وإلى حسنّها وقعت منه موقع الإعجاب والاستحسان، فصار لي، يا أمير المؤمنين خصمًا وانتهرني، وأمر بي إلى السّجن. فبقيت كأني خرت من السّماء في مكانٍ سحيقٍ، ثمّ قال لأبيها بعدي: هل لك أن تزوّجها منّي، وأنقذك ألف دينارٍ، وأزيدك أنت عشرة آلاف درهمٍ تتفّع بها، وأنا أضمن طلاقها؟ قال له أبوها: إن أنت فعلت ذلك زوّجتها منك.

فلمّا كان من الغد بعث إليّ، فلمّا أدخلت عليه نظر إليّ كالأسد الغضبان، فقال لي: يا أعرابي طلق سعدى. قلت: لا أفعل. فأمر بضربي ثم ردّني إلى السّجن، فلمّا كان في اليوم الثّاني قال: عليّ بالأعرابي. فلمّا وقفت بين يديه، قال: طلق سعدى. فقلت: لا أفعل. فسلب عليّ يا أمير المؤمنين خدامه فضربوني ضربًا لا يقدر أحدٌ على وصفه، ثمّ أمر بي إلى السّجن؛ فلمّا كان في اليوم الثّالث قال: عليّ بالإعرابي، فلمّا وقفت بين يديه قال: عليّ بالسيف والنّطع وأحضر السيّاف، ثمّ قال: يا

أعرابي، وجلالة ربّي، وكرامة والدي، لئن لم تطلق سعدى لأفرقن بين جسدك وموضع لسانك.

فخشيت على نفسي القتل فطلقتها طلقاً واحدة على طلاق السنة، ثم أمر بي إلى السجن فحبسني فيه حتى تمت عدتها ثم تزوّجها، فبنى بها، ثم أطلقني. فأتيك مستغيثاً قد رجوت عدلك وإنصافك، فارحمني يا أمير المؤمنين. فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجهدي الأرق، وأذابني القلق، وبقيت في حبّها بلا عقل، ثم انتحب حتى كادت نفسه تفيض. ثم أنشأ يقول:

في القلب مني نارٌ ... والنار فيه الدمار
والجسم مني سقيمٌ ... فيه الطّيب يحار
والعين تهطل دمعاً ... فدمعها مدرار
حملت منه عظيماً ... فما عليه اضطبار
فليس ليلى ليلٌ ... ولا نهاري نهار
فارحم كئيلاً حزيناً ... فؤاده مستطار
اردد عليّ سعادي ... يثيبك الجبار

ثم خرّ مغشياً عليه بين يدي أمير المؤمنين كأنه قد صعق به قال: وكان في ذلك الوقت معاوية متكئاً، فلما نظر إليه قد خرّ بين يديه قام ثم جلس، وقال: إنّ الله وإنّا

إليه راجعون. اعتدى والله مروان بن الحكم ضراراً في حدود الدين، وإحساراً في حرم المسلمين: ثم قال: والله يا أعرابي لقد أتيتني بحديث ما سمعت بمثله. ثم قال: يا غلام عليّ بدواة وقرطاس فكتب إلى مروان: أما بعد، فإنه بلغني عنك أنك اعتديت على رعيّتك في بعض حدود الدين، وانتهكت حرمةً لرجلٍ من المسلمين. وإنما ينبغي لمن كان والياً على كورةٍ أو إقليمٍ أن يغضّ بصره وشهوته، ويزجر نفسه عن لذاته. وإنما الوالي كالراعي لغنمةٍ، فإذا رفق به بقيت معه، وإذا كان لها ذنباً فمن يحوطها بعده. ثم كتب بهذه الأبيات:

وليت، ويحك أماً لست تحكمه فاستغفر الله من فعل امرئ زاني
قد كنت عندي ذا عقلٍ وذا أدبٍ مع القراطيس تمثالاً وفرقان
حتّى أتانا الفتى العذريّ متحجّبا يشكو إلينا بثّ ثم أحزان
أعطي الإله يميناً لا أكفرّها حقّاً وأبرأ من ديني ودياني
إن أنت خالفتني فيما كتبت به لأجعلنك لحماً بين عقباني
طلق سعاد وعجلها مجهّزةً مع الكميت ، ومع نصر بن ذيان
فما سمعت كما بلّغت في بشرٍ ولا كفعلك حقّاً فعل إنسان
فاختر لنفسك إمّا أن تجود بها أو أن تلاقى المنايا بين أكفان

ثم ختم الكتاب. وقال: علي بنصر بن ذبيان والكميت صاحبي البريد. فلما وقفا بين يده قال: اخرجنا بهذا الكتاب إلى مروان بن الحكم ولا تضعاه إلا بيده. قال فخرجنا بالكتاب حتى وردا به عليه، فسلمّا ثم ناولاه الكتاب. فجعل مروان يقرأه ويردّده، ثم قام ودخل على سعدى وهو باك، فلما نظرت إليه قالت له: سيدي ما الذي يبكيك؟ قال كتاب أمير المؤمنين، ورد علي في أمرك يأمرني فيه أن أطلقك وأجهّزك وأبعث بك إليه. وكنت أودّ أن يتركني معك حولين ثم يقتلني، فكان ذلك أحبّ إليّ. فطلّقها وجهّزها ثم كتب إلى معاوية هذه الأبيات:

لا تعجلنّ أمير المؤمنين فقد أوفي بنذرِك في رفقٍ وإحسان

وما ركب حراماً حين أعجبني فكيف أدعى باسم الخائن الزاني

أعذر فإنك لو أبصرتها لجرت منك الأماقي على أمثال إنسان

فسوف يأتيك شمس لا يعادلها عند الخليفة إنس لا ولا جان

لولا الخليفة ما طلّقتها أبداً حتى أضمنّ في لحدٍ وأكفان

على سعادٍ سلامٍ من فتى قلق حتى خلّفته بأوصابٍ وأحزان

ثم دفعه إليهما، ودفع الجارية على الصّفة التي حدّث له. فلما وردا على معاوية فكّ كتابه وقرأ أبياته ثم قال: والله لقد أحسن في هذه الأبيات، ولقد أساء إلى نفسه. ثم أمر بالجارية فأدخلت إليه، فإذا بجارية رعبوبة لا تبقي لناظرها عقلاً من حسنّها وكمالها. فعجب معاوية من حسنّها ثم تحوّل إلى جلسائه وقال: والله إن

هذه الجارية لكاملة الخلق فلئن كملت لها النعمة مع حسن الصفة، لقد كملت النعمة لمالكها. فاستنطقها، فإذا هي أفصح نساء العرب. ثم قال: عليّ بالأعرابي.

فلما وقف بين يديه، قال له معاوية: هل لك عنها من سلو، وأعوّضك عنها ثلاث جوارٍ أبكارٍ مع كلّ جاريةٍ منهنّ ألف درهمٍ، على كلّ واحدةٍ منهنّ عشر خلعٍ من الخبز والديباج والحريير والكتّان، وأجري عليك وعليهنّ ما يجري على المسلمين، وأجعل لك ولهنّ حظاً من الصّلات والتّقّات؟ فلما أتمّ معاوية كلامه غشي على الأعرابي وشهق شهقةً ظنّ معاوية أنّه قد مات منها. فلما أفاق قال له معاوية: ما بالك يا أعرابي؟ قال: شرّ بالٍ، وأسوأ حالٍ، أعوذ بعدلك يا أمير المؤمنين من جور مروان. ثمّ أنشأ يقول:

لا تجعلني هداك الله من ملكٍ كالمستجير من الرّمضاء بالنّار
أردد سعاد على حرّان مكتبٍ يمسي ويصبح في همٍّ وتذكّار
قد شفه قلّق ما مثله قلّق وأسعر القلب منه أيّ إسعار
والله والله لا أنسى محبّتها حتّى أغيب في قبري وأحجاري
كيف السّلو وقد هام الفؤاد بها فإن فعلت فإنّي غير كفّار
فأجمل بفضلك وافعل فعل ذي كرم لا فعل غيرك، فعل اللّوم والعار

ثمّ قال: والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتني كلّ ما احتوته الخلافة ما رضيت به

دون سعدى. ولقد صدق مجنون بني عامر حيث يقول:

أبى القلب إلا حبّ ليلي وبغضت ... إليّ نساء ما لهن ذنوب

وما هي إلا أن أراها فجاءة ... فأبته حتى لا أكاد أجيب

فلما فرغ من شعره، قال له معاوية: يا أعرابي؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: إنك مقرّ عندنا أنك قد طلقته، وقد بانت منك ومن مروان، ولكن نخبرها بيننا. قال: ذاك إليك، يا أمير المؤمنين. فتحول معاوية نحوها ثم قال لها: يا سعدى أينما أحبّ إليك: أمير المؤمنين في عزّه وشرفه وقصوره، أو مروان في غضبه واعتدائه، أو هذا الأعرابي في جوعه وأطماره؟ فأشارت الجارية نحو ابن عمّها الأعرابي، ثم أنشأت تقول:

هذا وإن كان في جوعٍ وأطمار ... أعزّ عندي من أهلي ومن جاري

وصاحب التّاج أو مروان عامله ... وكلّ ذي درهمٍ منهم ودينار

ثم قالت: لست، والله، يا أمير المؤمنين لحدثان الزمان بخاذلته، ولقد كانت لي معه صحبة جميلة، وأنا أحقّ من صبر معه على السّراء والضّراء، وعلى الشّدّة والرّخاء، وعلى العافية والبلاء، وعلى القسم الذي كتب الله لي معه. فعجب معاوية ومن معه من جلسائه من عقلها وكمالها ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهمٍ وألحقها في صدقات بيت المسلمين.^١

يروى، أنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم، خطب امرأةً من كلبٍ فبعث عائشة رضي الله عنها تنظر إليها، فقال لها: "كيف رأيتهَا؟" قالت: ما رأيْتُ طائلاً. قال: "لقد رأيْتُ طائلاً، ولقد رأيْتُ حالاً تجدِينها حتَّى اقشعرت كل شعرةٍ فيكَ". فقالت: وما دونك سترٌ يا رسول الله.

ويروى عن حيَّان بن عمير أنَّه قال دخلت على قتادة بن ملحان فمرَّ رجلٌ في أقصى الدَّار فرأيت صورته في وجه قتادة، وذلك أنَّ النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم، مسح وجهه.

قال حليَّان المغنِّي: دخلت دار هارون الرِّشيد فإذا أنا بجاريةٍ خماسيةٍ، أحسن النَّاس وجهاً، على يدها سطران مكتوبان بالغالية، فقرأتُهما فإذا هما ممَّا عمل في طران الله، فتنة لعباد الله وقال بعضهم: سمعت يحيى بن سفيان يقول: رأيت بمصر جاريةً بيعت بألف دينارٍ، فما رأيْتُ وجهاً قط أحسن من وجهها صَلَّى الله عليها. قال: فقلت له يا أبا زكريَّا، مثلك يقول هذا مع ورعك وفقهك؟ فقال: وما تنكر عليَّ من ذلك؟ صَلَّى الله عليها وعلى كلِّ مليح: يا ابن أخي الصَّلَاة رحمة.

قال: خرج شامة بن لؤي بن غالب من مكَّة حتَّى نزل بعمان على رجلٍ من الأزد.

وكان شامة بن لؤي من أجمل خلق الله، فقراه وبات عنده. فلما أصبح قعد يستنّ فنظرت إليه زوجة الأزد فاعجبتها، فلمَّا رمى، مضت إلى سواكه فأخذتها

فمصّتها، فنظر إليها زوجها، فحلب ناقةً وجعل في اللبن سمّاً وقدمه إلى شامة، فغمزته المرأة، فأراق اللبن وخرج يسير. فبينما هو في موضعٍ يقال له خرق الجميلة أهوت ناقته في عرفجة؟ فانتشلها وفيها أفعى فنهشت مشفرها فحكّتها على ساق شامة فمات. فقالت الأزد:

إذا ناقتي حلّت بليلٍ ففارقت ... جملةً لما أنبتّ منها قرينها
فقلت لها حثّي قليلاً فإنني ... وإياك نخفي عبرةً سترينها
غدرت بنا بعد الصّفاء وختتنا ... وشرّ مصافي خلةٍ من يخونها^١

قال سليمان بن أبي سمخ تزوّج رجلٌ من تهامة امرأةً من نجدٍ فلمّا نقلها إليه، قالت له: ما فعلت ريحٌ من نجد كانت تأتينا يقال لها الصبا ما رأيتها ههنا؟ فقال: يحجزها عنّا هذان الجبلان. فأنشأت تقول:

أيا جبلي نعمان بالله خلياً ... نسيم الصّبا يخلص إليّ نسيمها
فإنّ الصّبا ريحٌ إذا ما تنفّست ... على قلب محزونٍ تجلّت همومها
أجد بردها أو يشف منّي حرارةً ... على كبِدٍ لم يبق إلا صميمها^٢

^١ أخبار النساء ص ٢٣

^٢ ثمرات الأوراق ابن حجة الحموي ٣٧/١ ط مكتبة الجمهورية العربية، مصر

قال الزبير حدثني أبي، قال: كان عندنا بالمدينة رجلٌ من قريش كانت له امرأة تعجبه ويعجبها، وكانت تحول بينه وبين طلب الرّزق، وكلّ ذلك يحتمله لشدة محبّته إياها فلمّا ساءت حاله وكثر دينه قال:

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه ... شكى الفقر أو لام الصديق فأكثر

وصار على الأدين كلاً وأوشكت ... قلوب ذوي القربى له أن تنكرا

فسر في بلاد الله والتمس الغنى ... تعش ذا يسارٍ أو تموت فتعذرا

ولا ترض من عيشٍ بدونٍ ولا تنم ... وكيف ينام الليل من كان معسرا

وما طالب الحاجات من حيث يبتغي ... من الناس إلّا من أجدّ وشمّرا

فلّما أصبح قال لامرأته: أنا، والله أحبّك، ولا صبر لي على ما نحن فيه من ضيق

العيش، فجهّزني. فجهّزته، فخرج حتّى قدم على معاوية بن أبي سفيان فقام بين

الصّفين، فأخبره بحاله، وأنشده الشعر. فرّق له، وأمر له بألف دينارٍ وقال له: لقد

دلّني حالك على محبّتك لأهلك وكرهيتك لفراقهم فخذ وانصرف إليهم فأخذها

وانصرف راجعاً.^١

^١ أخبار النساء ص ٢٤ ، التذكرة الحمدونية ٩٩/٨ ، العقد الفريد ٣٤٧/٢

قال علي بن المغيرة كانت زينب بنت يوسف بن الحكم بن أبي عقيل أخت الحجاج بن يوسف لأبيه وأمها الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي عند المغيرة بن شعبة فرآها يوماً تتخلل بكرة فقال لها أنت طالق والله لئن كان هذا من غذاء لقد جشعت ونهمت، وإن كان من عشاء لقد أنتنت وقذرت، فقالت قبّح الله الذواق والمطلاق ولا يبعد الله، والله ما هو الذي ظننت، ولكنه استمسك بين أسناني شظية من السواك.^١

وكان سبب قول النّميري فيها: إنّ أباهما يوسف بن الحكم مريض، وكان يزيد معاوية قد ولّاه صدقات الطائف وأرض الشّراة، فنذرت إنّ الله عافاه أن تمشي إلى الكعبة معتمرة من الطائف، وبين الطائف ومكة يومان وليلتان، فمشت ذلك في اثنين وأربعين يوماً، وكانت جميلةً وسيمّةً فلقبها النّميري، وهو محمّد بن عبد الله بن نمير الثقفي، بطن نعمان فقال:

تضوّع مسكاً بطن نعمان إذ مشت به زينب في نسوة عطرات
تهادين ما بين المحصب من منى وأقبلن لا شتعثاً ولا غبرات
مررن بفخ رائحاتٍ عشيةً يلبّين للرّحمن مؤتجرات
لها أرج بالعنبر الورد فاغم تطلّع رياه من الفترات

يخبئن أطراف البنان من التقي
 ليست كأخرى أوسعت جنب درعها
 ومالت تراءى من بيد فأفتنت
 تقسمن لبّي يوم نعمان إنني
 يظاهرن أستاراً ودوراً كثيرة
 ولما رأت ركب النّميري أعرضت
 دعت نسوة شمّ العرائن كالدمّا
 فأبدتين لما قمن يحجبن زينبا
 قلت: يعافير الطّباء تناولت
 فلم ترعيني مثل ركب رأيتّه
 وكدت اشتياقاً نحوها وصباةً
 وغادرت من وجدي بزيب غمرة
 وظل صحابي يظهرن ملامتي
 فراجعت نفسي والحفيظة إنّما
 ويمشين شطر الليل معتمرات
 وأبدت بنان الكفّ للجّمرات
 برويتها من راح من عرفات
 بليت بطرف فاتك اللحظات
 ويقطعن دور اللهو بالحجرات
 وكنّ من أن تلقينه حذرات
 أوانس ملء العين كالظّبيات
 بطوناً لطاف الطّي مضطّمرات
 يناع غصون الورد مهتصّرات
 خرجن من التّعير معتمرات
 تقطّع نفسي إثرها حشرات
 من الحبّ إنّ الحبّ ذو غمرات
 على لوعة الأشواق والزّفرات
 بللت رداء العصب بالعبرات

وقد كان في عصياني النفس زاجرٌ
لذي عبرةٍ لو كنّ معبرات^١

قال مسلم بن جندب الهلالي كنت مع عبد الله بن الزبير بنعمان و غلام ينشد خلفه، وهو يشتمه أقبح الشتم. فقلت له: ما هذا؟ فقال: دعه فإنني تشبّيت بأخت هذا الحجاج بن يوسف. فلمّا قتل الحجاج عبد الله بن الزبير دعا الناس إلى البيعة، فتأخر محمد حتّى قام في آخر الناس ولم يجد من الحضور بدءاً. فلمّا دنا منه قال: أمحمد؟ قال نعم: قال: أنشدني ما قلت. فأنشدته قصيدتي هذه فقال: لولا أن يقول قائلٌ لضربت عنقك، أنج لا نجوت ولا تعد فقال: لا تعرضت لاسم زينب ما بقيت.

قال: ولما خاف النّميري من الحجاج عاذ بأبيه يوسف بن الحكم. فلمّا أرسل عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير، قام إليه يوسف بن الحكم وقال له: يا أمير المؤمنين إنّ فتىً منّا ذكر زينب بما يذكر به العربيّ ابنة عمّه، وقد علمت أنّ هذا لم يزل يتقلّب عليه. قال عبد الملك: أليس النّميري؟ قال: بلى، قد سمعت شعره فما سمعت مكروهاً ثمّ أقبل على الحجاج وقال: لا تعرض له.

^١ العقد الفريد ١٧٣/٦، المحاسن والأضداد ص ٢١٧، الأغاني أبي الفرج الأصفهاني ٢٠٤/٦ ط دار الفكر -

ويقال إنَّ عبد الملك لمَّا بلغه شعر النَّميري كتب إلى الحجاج: قد بلغني ما كان من قول النَّميري، فلا تدنه فتقطعه، ولا تقصه فتغره. ولكن أهمله واله عنه. فلم يهجه الحجاج ومن قوله فيها:

تشتو بمكة نعمة ... ومصيفها بالطائف

أكرم بتلك موافقا ... وبزينب من واقف^١

قال الزبير بن بكار: حكى الحسن بن علي مولى بني أمية قال: خرجت إلى الشام فلمَّا كنت بالسَّمَهاة ودنا الليل رفع لي قصرٌ فأهويت إليه، فإذا أنا بامرأةٍ لم أر قط مثلها حسناً وجمالاً. فسَلَّمت، فردت عليَّ السَّلام، قالت: ممَّن أنت؟ قلت: من بني أمية. قالت: مرحباً بك، أنزل، فأنا امرأةٌ من أهلك. فأنزلتني أحسن منزلٍ وبتَّ أحسن مبيتٍ.

فلمَّا أصبحت قالت: إنَّ لي إليك حاجة. قلت ما هي؟ فأشارت إلى ديرٍ، وقالت: إنَّ في ذلك الدَّير ابن عمِّي، وهو زوجي، وقد غلبت عليه نصرانيَّةٌ في ذلك الدَّير، فتمضي إليه وتعظه. فخرجت حتَّى انتهيت إلى الدَّير، فإذا برجلٍ في فئائه من أحسن الرِّجال وأجملهم. فسَلَّمت عليه، فردَّ وسأل. فأخبرته من أنا، وأين بتَّ،

^١ أخبار النساء ص ٢٩ ، الأغاني ٦/ ٢١٧

وما قالت المرأة. فقال: صدقت، أنا رجلٌ من أهلك من أهل الحارث بن الحكم.
ثمّ صاح: يا قسطا. فخرجت إليه نصرانيّةً عليها ثياب حبرات وزنانير ما رأيت قبلها
ولا بعدها أحسن منها. فقال: هذه قسطا، وتلك أروى، وأنا الذي أقول:

وبدّلت قسطا بعد أروى وحبّها ... كذاك لعمرى يذهب الحبّ بالحبّ
وما هي أما ذكرها بنطيّة ... كبدّر الدّجى أوفى على غصنٍ رطب^١

قال الزّبير بن بكار: حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال كانت بنت أبي عبيدة
بن المنذر بن الزّبير عند أبي بكر بن عبد الرّحمن من محرّمه وكان يخدمها وكانت
ذات مالٍ، ولا مال له. وكانت تضنّ عنه، فخرج يريد الشّام بطلب الرّزق، فلمّا كان
ببعض الطّريق رجع فمرّ بجلّسائه بالمصلّى فقالوا: زاد خير. ثمّ دخل عليها فقالت
له: أبخير رجعت؟ فقال لها:

بينما نحن من بلاكث فالقا ... ع سراعا، والعيش تهوي هويّا
خطرت خطرةً على القلب من ذكراك وهنّا، فما استطاع مضيا
قلت: ليّيك، إذ دعاني لك الشّو ... ق وللحاديين حبّ المطيا

قالت له: لا جرم والله لأشاطرنك مالي فشاطرته إيّاه ولم تدعه للسّفر بعد.^٢

^١ أخبار النساء ص ٣٠

^٢ محاضرات الأدباء الراغب الأصفهاني ٧٦/٢ ط شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت ، أخبار النساء ص ٣١

روى إبراهيم بن حسن بن يزيد، عن شيخ من ساكني العقيق قال: إنني لواقفٌ بالعقيق، وقد جاء الحاج، إذ طلعت امرأة على راحلة وحولها نسوة، فنظرنا إليها، فأعجبتنا حالها. فلما كانت حذاء قصر سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان، عدلت إلينا، ونحن ننظر. فنزلت قصرًا من تلك القصور فأقامت فيه ساعة ثم خرجت، فركبت ومضت، وإن عينيها لتنقطان دموعًا. فقلت: لأنظر ما صنعت هذه المرأة؟ فدخلت القصر، فإذا كتاب يواجهني في الجدار، فقرأته فإذا هو:

أليس كفى حزناً لذي الشوق أن يرى، ... منازل من يهوى معطلةً قفراً؟

بلى، إن ذا الشوق الموكّل بالهوى، ... يزيد اشتياقًا كلما حاول الصبرا

وتحته مكتوبٌ: وكتبته آمنة بنت عمر بن عبد العزيز. وكان سفيان بن عاصم زوجها فتوفّي عنها.^١

ذكروا عن عائشة، رضي الله عنها، أنها لما قدمت البصرة خطبت وبحضرتها الأحنف بن قيس وموسى بن طلحة ورجال من وجوه العرب، فقالت بعقب ذلك: إنني أتيت أطلب بدم الإمام المذكور برمته الحرمات الأربع. فمن ردّنا عنه بحق

قبلناه، ومن ردّنا عنه بباطلٍ قاتلناه. فربّما نصر الظالم على المظلوم والعاقبة للمتّقين.

قال لها موسى بن طلحة: قد فهمنا كلامك، فما الأربع حرّما؟ فقالت: حرمة الشّهر، وحرمة البلد، وحرمة الإمامة، وحرمة الختونة، لا يصلح إمراء بعده أبداً. فقال لها الأحنف رحمه الله: إني سائلك ومغلظٌ لك في المسألة فلا تجدين عليّ. أعندك عهدٌ من رسول الله في خروجك هذا؟ قالت: لا. قال لها: أفعدك عهدٌ من رسول الله أنّك معصومةٌ من الخطأ؟ قالت: لا. قال لها: صدقت، أن الله رضي لك المدينة فأبیت إلا البصرة، وأمرك بلزوم بيت نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم فنزلت بين الحرسه الضّبي. ألا تخبريني يا أمّ المؤمنين أللحرب قدمت أم للصّاح؟ قالت: بل للصّاح، فقال لها: والله لو قدمت وما بينهم إلا الخفق بالنعال والقذف بالحصبا، ما اصطلحوا على يديك، فكيف والسّيف على عواتقهم؟ قالت: لقد استغرق حكم الأحنف هجاء أيّاي، إلى الله أشكوه عقوق أبنائي^١.

في صفات النساء المحموده

كتب الحجاج إلى الحكم بن أيوب أن اخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد، مليحة من قريب، شريفة في قومها، ذليلة في نفسها، مؤاتية لبعْلِها. فكتب إليه قد أصبتها لولا عظم ثديها، فكتب إليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثديها، فتدفي الضجيع، وتروي الرضيع.^١

وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان: صف لي أحسن النساء؟ قال: خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين، ردماء الكعبين، ناعمة الساقين، ضخماء الركبتين، لفاء الفخذين، ضخمة الذراعين. رخصة الكفين، ناهدة الثديين، حمراء الخدين، كحلاء العينين، زجاء الحاجبين لمياء الشفتين بلجاء الجبين، شماء العرنيين، شنباء الثغر، محلولة الشعر، غيداء العنق، مكسرة البطن. فقال: ويحك وأين توجد هذه؟ قال:

تجدها في خالص العرب وفي خالص الفرس.^٢

^١ العقد الفريد ١١٥/٧

^٢ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٦٢ ، العقد الفريد ١١٦/٧

وقال حكيم: عليكم بمن تربت في النعيم ثم أصابتها فاقة فأثر فيها الغنى وأدبها الفقر. وقال رجل لخاطب: ابغ لي امرأة لا تؤنس جارا ولا توطن دارا، يعني لا تدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها، وفي مثل هذه قال الشاعر:

هيفاء فيها إذا استقبلتها صلف ... عيطاء غامضة الكعبين معطار
خود من الخفرات البيض لم يرها ... بساحة الدار لا بعل ولا جار^١

وكانت امرأة عمران بن حطان من أجمل الناس وجهها، وكان هو من أقبح الناس وجهها، فقال لها يوما: أنا وإياك في الجنة إن شاء الله تعالى، فقالت له: وكيف ذلك؟ فقال:

لأنني أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلي فصبرت، والصابر والشاكر في الجنة. وقال بعضهم: رأيت في طريق مكة أعرابية ما رأيت أحسن منها وجهها، فقعدت أنظر إليها، وأتعجب من جمالها، فجاء شيخ قصير، فأخذ بردائها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى، فقلت لها: من هذا الشيخ؟ قالت: زوجي. قلت: كيف يرضى مثلك بمثله فأنشدت:

أيا عجبا للخود يجري وشاحها ... ترف إلى شيخ بأقبح تمثال

^١ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٦٢

دعاني إليه أنه ذو قرابة ... يعزّ علينا من بني العم والخال

وسمع بعضهم قائلًا يقول:

ومن لا يرد مدحي فإن مدائحي ... نوافق عند الأكرمين نوامي

نوافق عند المشتري الحمد بالندى ... نفاق بنات الحارث بن هشام

فقال: يا ابن أخي ما بلغ من نفاق بنات الحارث بن هشام؟ قال: كن من أجمل

الناس وجوها وكان أبوهن إذا زوجهن يسوقهن ومهورهن إلى بعولتهن. فقال: يا

ابن أخي لو فعل هذا إبليس بيناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون.^١

وقال عبد الملك لابن أبي الرقاع كيف علمك بالنساء؟

قال: أنا والله أعلم الناس بهن، وجعل يقول:

قضاعية الكعبين كندية الحشا ... خزاعية الأطراف طائية الفم

لها حكم لقمان وصورة يوسف ... ومنطق داود وعفة مريم

وقالوا: الوجه الحسن أحمر، وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث في

الكن والتضمخ بالطيب.

وقالوا: أن الوجه الرقيق البشرة الصافي الأديم إذا خجل يحمر وإذا فرق يصفر.

ومنه قولهم: ديباج الوجه، يريدون تلونه من رفته، قال علي بن زيد في وصفه:

^١ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٦٣

حمرة خلط صفرة في بياض ... مثل ما حاك حائك ديباجا

وقال علي بن عبد ربه:

بيضاء يحمر خذاها إذا خجلت ... كما جرى ذهب في صفحتي ورق

وقالوا: إن الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهي بالضحى بيضاء

وبالعشي صفراء فقال ذو الرمة:

بيضاء صفراء قد تنازعها ... لوانان من فضة ومن ذهب

قالوا: ليس المرأة الجميلة التي تأخذ ببصرك جملة على بعد فإذا دنت منك لم

تكن كذلك، بل الجميلة التي كلما كررت ببصرك فيها زادتك حسنا.^١

^١ العقد الفريد ١٢٦/٧ ، المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٦٣

في صفة المرأة السوء

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إياكم وخضراء الدمن». يريد الجارية الحسناء في المنبت السوء.

قال عمر بن الخطاب: النساء ثلاثة: هينة عفيفة مسلمة، تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها. وأخرى وعاء للولد. وثالثة غل قمل يلقيه الله في عنق من يشاء من عباده.^١

في حكمة داود عليه السلام: «أن المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها إلا من رضي الله تعالى عنه».^٢

وقيل: المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى في عنق من يشاء من عباده.

وقيل لأعرابي كان ذا تجربة للنساء، صف لنا شر النساء فقال: شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم المحياض الممراض المصفرة الميشومة العسرة الميشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة، كأنها لسان حرب تضحك من غير عجب وتبكي من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب، أنف في السماء وإست في الماء، عرقوبها حديد، متفخة الوريد كلامها وعيد، وصوتها شديد، وتدفن

^١ العقد الفريد ١٢١/٧

^٢ العقد الفريد ١٢١/٧

الحسنات وتفشي السيئات، تعين الزمان على بعْلِها، ولا تعين بعْلِها على الزمان، ليس في قلبها عليه رَأْفَةٌ ولا عليها منه مخافة، إن دخل خرجت وإن خرج دخلت، وإن ضحك بكت، وإن بكى ضحكت، كثيرة الدعاء، قليلة الإرعاء تأكل لَمًّا وتوسع ذمًا، ضيقة الباع، مهتوكة القناع، صبيها مهزول وبيتها مزبول، إذا حدثت تشير بالأصابع وتبكي في المِجامع، بادية من حجابها، نباحة عند بابها، تبكي وهي ظالمة، وتشهد وهي غائبة قد دَلِّي لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور، ابتلاها الله بالويل والشبور وعظائم الأمور.

ويقال: إن المرأة إذا كانت مبغضة لزوجها فإن علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كأنها تنظر إلى إنسان غيره من ورائه، وإن كانت محبة له لا تقلع عن النظر إليه.^١

قال بعضهم:

لقد كنت محتاجا إلى موت زوجتي ... ولكن قرين السوء يلقي معمر
فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلا ... وعذبها فيه نكير ومنكر
وقال زيد بن عمير:

أعاتبها حتى إذا قلت أقلعت ... أبى الله إلا خزيها فتعود

^١ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٦٤

فإن طمشت قادت وإن طهرت زنت ... فهاتيك تزني دائما وتقود

وقال داود عليه الصلاة والسلام: المرأة السوء على بعلمها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير، والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه.^١
عن وهب بن منبه قال: عاقب الله المرأة بعشر خصال: شدة النفاس، وبالحيض، وبالنجاسة في بطنها وفرجها، وجعل ميراث امرأتين ميراث رجل واحد، وشهادة امرأتين كشهادة رجل، وجعلها ناقصة العقل والدين لا تصلي أيام حيضها، ولا يسلم على النساء، وليس عليهن جمعة ولا جماعة، ولا يكون منهن نبي، ولا تسافر إلا بولي.^٢

وكان يقال: ما نهيت امرأة قط عن شيء إلا أئته. وقال طفيل في هذا المعنى:

إن النساء كأشجار نبتن معا ... منها المرار وبعض المر مأكول

إن النساء متى ينهين عن خلق ... فإنّـه واقع لا بدّ مفعول

عن رجاء بن حيوة قال: قال معاذ: إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وإني أخاف عليكم فتنة السراء، وإن من أشد من ذلكم عندي النساء، إذا تحلّين الذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن، فاتعبن الغني، وكلفن الفقير ما لا يجد.^٣

^١ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٦٤

^٢ عيون الأخبار ٤/ ١١٠

^٣ عيون الأخبار ٤/ ١١١

قال بعض الشعراء:

تمتّع بها ما ساعفتك ولا تكن عليك شجايؤذيك حين تبين
وإن هي أعطتك اللّيان فإنّها غيرك من خلّانها ستلين
وإن حلفت لا ينقض النأي عهدّها فليس لمخضوب البنان يمين^١

أبو عليّ الأمويّ قال: كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، عند عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكانت قد غلبته في كثير من أمره؛ فقال له أبوه: طلقها، فطلقها وأنشأ يقول:

لها خلق سهل وحسن ومنصب... وخلق سويّ ما يعاب ومنطق

فرمي يوم الطائف بسهم؛ فلما مات قالت ترثيه:

وآليت لا تنفك عيني سخينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فلله عين ما رأت مثله فتى أعزّ وأحمى في الهياج وأصبرا

إذا شرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الرّمح أحمرّا

ثم خطبها عمر بن الخطّاب، فلمّا أولم قال عبد الرحمن بن أبي بكر:

يا أمير المؤمنين، أتأذن لي أن أدخل رأسي على عاتكة؟ قال: نعم، يا عاتكة

استري؛ فأدخل رأسه فقال:

^١ الكشكول بهاء الدين الهمذاني ١٩٦/٢ ط دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

وآليت لا تنفك عيني قريرة ... عليك ولا ينفك جلدي أصفرا

فشجت نشجا عاليا ؛ فقال عمر: ما أردت إلى هذا! كل النساء يفعلن هذا! غفر الله لك. ثم تزوجها الزبير بعد عمر وقد خلا من سنّها ، فكانت تخرج بالليل إلى المسجد ولها عجيذة ضخمة ؛ فقال لها الزبير: لا تخرجي ؛ فقالت: لا أزال أخرج أو تمنعني، وكان يكره أن يمنعها، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله؛ فقعد لها الزبير متنكرا في ظلمة الليل، فلما مرّت به قرص عجيزتها؛ فكانت لا تخرج بعد ذلك؛ فقال لها: مالك لا تخرجين؟ فقالت: كنت أخرج والناس ناس، وقد فسد الناس فيتي أوسع لي^١.

قال المدائني: احتضر رجل من العرب وله ابن يدب بين يديه؛ وأم الصبي جالسة عند رأسه؛ واسم الصبي معمر فقال:

وإني لأخشى أن أموت فتنكحي ويقذف في أيدي المراضع معمر
وترخي ستور دونه وقلائد ويشغلكم عنه خلوق ومجمر
فما لبث أن مات، ثم تزوجت ثم صار معمر إلى ما ذكر^٢.

عن الحسن: أن شابين كانا متأخيين على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأغزى أحدهما، فأوصى أخاه بأهله؛ فانطلق في ليلة ذات ريح وظلمة إلى أهل

^١ عيون الأخبار ١١٣/٤

^٢ عيون الأخبار ١١٣/٤

أخيه يتعهّدهم، فإذا سراج في البيت يزهر ، وإذا يهوديّ في البيت مع أهله وهو يقول:

وأشعث غرّه الإسلام منّي ... خلوت بعمرسه ليل التّمام
أبيت على ترائبها ويضحى ... على جرداء لاحقة الحزام
كأنّ مجامع الرّبلات منها ... فئام يتهضون إلى فئام

فرجع الشابّ إلى أهله، فاشتعل السيف حتّى دخل على أهل أخيه فقتله، ثم جرّه وألقاه في الطريق؛ فأصبح اليهود وصاحبهم قتيلا يدرون من قتله، فأثوا عمر بن الخطّاب فدخلوا عليه وذكروا ذلك له، فنادى عمر في النّاس: الصلاة جامعة، فاجتمع النّاس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أنشد الله رجلا علم من هذا القتل علما إلا أخبرني به؛ فقام الشابّ فأنشده الشعر وأخبره خبره؛ فقال عمر: لا يقطع الله يدك، وهدر دمه.^١

كان ابن عبّاس يقول: مثل المرأة السّوء: كان قبلكم رجل صالح له امرأة سوء، فعرض له رجل فقال: إني رسول الله إليك بأنّه جعل لك ثلاث دعوات، فسل ما شئت من دنيا أو آخرة ثم نهض، فرجع الرجل إلى منزله؛ فقالت له امرأته: ما لي

^١ البداية والنهاية ١ بن كثير ٣٠٦/٨ ط دار هجر ، عيون الأخبار ١١٣/٤

أراك مفكراً محزوناً؟ فأخبرها؛ فقالت: أأست امرأتك وفي صحبتك وبناتك مني! فاجعل لي دعوة، فأبى. فأقبل عليه ولده وقلن:

أمنّا، فلم يزلن به حتّى قال: لك دعوة؛ فقالت: اللهم اجعلني أحسن الناس وجهاً فصارت كذلك، وجعلت توطئ فراشها وهو يعظها فلا تتعظ، فغضب يوماً فقال: اللهم اجعلها خنزيرة، فتحوّلت كذلك؛ فلما رأين بناته ما نزل بأمنهن بكين وضربن وجوههن ونفن شعورهن، فرقّ لهن قلبه فقال: اللهم أعدّها كما كانت أوّلاً؛ فذهبت دعواته الثلاث فيها.^١

قال عبد الله بن عكرمة: دخلت على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي أعوده، فقلت: كيف تجدك؟ فقال: أجديني والله بالموت، وما موتي بأشدّ عليّ من تمتّع أمّ هشام، أخاف أن تتزوّج - يعني امرأته - فحلفت له وآلت ألاّ تتزوّج بعده، فغشي وجهه نور، ثم قال: شأن الموت أن ينزل متى شاء، ثم مات، فتزوّجت بعمر بن عبد العزيز؛ فقلت:

فإن لقيت خيراً فلا يهنئها... وإن تعست فليدين وللهم

فبلغها، فكتبت إليّ: قد بلغني بيتك الذي تمثّلت به، وما مثلي ومثل أخيك إلّا

كما قال الشاعر:

^١ عيون الأخبار ١١٤/٤

وهل كنت إلّا والها ذات ترحة قضت نحبها بعد الحنين المرجع
متى تسل عنه تذكر بعد طيبة من الأرض أو تقنع بإلف فترجع
فدع عنك من قد وارت الأرض شخصه وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع
فبلغ ذلك مني كلّ غيظ، واحتسبت حسابها، وإذا هي قد أعجلت عدتها، وقد
بقي عليها أربعة أيام، فدخلت على عمر فأخبرته بذلك، فنقض النكاح وعزل عن
المدينة.^١

كان صخر بن الشريد أخو الخنساء خرج في غزوة فقاتل فيها قتالا شديدا،
فأصابه جرح رغب، فمرض فطال به مرضه وعاده قومه، فقال عائذ من عواده
يوما لامرأته سلمى: كيف أصبح صخر اليوم؟ قالت: لا حيّا فيرجى ولا ميتّا
فينسى، فسمع صخر كلامها فشقّ عليه، وقال لها: أنت القائلة كذا وكذا؟ قالت:
نعم غير معذرة إليك. ثم قال عائذ آخر. لأمه: كيف أصبح صخر اليوم؟ فقالت:
أصبح بحمد الله صالحا ولا يزال بحمد الله بخير ما رأيناه سواده بيننا. فقال صخر:

أرى أم صخر ما تملّ عيادي وملّت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازة عليك ومن يغتر بالحدثان
فأيّ امرئ ساوى بأمّ حليّة فلا عاش إلّا في أذى وهوان

^١ عيون الأخبار ١١٥/٤

أهمّ بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان
 لعمرى لقد أنبته من كان نائما وأسمعت من كانت له أذنان
 فلما أفاق عمد إلى سلمى فعلقها بعمود الفسطاط حتى فاضت نفسها ، ثم
 نكس من طعنته فمات.^١

وقيل أن أردشير سار إلى الحضرم ، وكان ملك السّواد متحصّنا فيها، وكان من
 أعظم ملوك الطوائف ، فحاصره فيها زمانا لا يجد إليه سبيلا، حتى رقت ابنة ملك
 السّواد يوما، فرأت أردشير فعشقه فنزلت وأخذت نّشابة وكتبت عليها: إن أنت
 شرطت لي أن تزوّجني دلتك على موضع تفتح منه هذه المدينة بأسر حيلة
 وأخف مؤونة، ثم رمت بالنّشابة نحو أردشير؛ فكتب الجواب في نّشابة: لك الوفاء
 بما سألت، ثم ألقاها إليها؛ فكتبت إليه تدلّه على الموضع؛ فأرسل إليه أردشير
 فافتحه ودخل هو وجنوده، وأهل المدينة غارّون فقتلوا ملكها وأكثر مقاتلتها
 وتزوّجها؛ فبينما هي ذات ليلة على فراشه أنكرت مكانها حتى سهرت لذلك عامّة
 ليلتها، فنظروا في الفراش فوجدوا تحت المحبس ورقة من ورق الآس قد أثرت في
 جلدها، فسألها أردشير عند ذلك عما كان أبوها يغذوها به؛ فقالت: كان أكثر
 غذائي الشّهد والزّبد والمخ؛ فقال أردشير: ما أحد ببالغ لك في الحباء والإكرام
 مبلغ أبيك، ولئن كان جزاؤه عندك على جهد إحسانه مع لطف قرابته وعظم حقّه

^١ الكامل في اللغة والأدب المبرد ٥١/٤ ط دار الفكر العربي ، عيون الأخبار ١١٦/٤

جهد إساءتك، ما أنا بآمن لمثله منك؛ ثم أمر بأن تعقد قرونها بذنّب فرس شديد

المراح جموح ثم يجري؛ ففعل ذلك حتى تساقطت عضوا عضوا.^١

قال العتبي: سمعت أبي يحدث عن ناس من أهل الشام: أن أخوين كان لأحدهما زوجة، وكان يغيب ويخلفه الآخر في أهله، فهويته امرأة الغائب، فأرادته على نفسها فامتنع؛ فلما قدم أخوه سألها عن حالها، فقالت: ما حال امرأة تراود في كلّ حين! فقال: أخي وابن أمي! وإني لا أفصحه! ولكن الله عليّ ألا أكلمه أبدا؛ ثم حجّ وحجّ أخوه والمرأة؛ فلما كانوا بوادي الدّوم هلك الأخ ودفنوه وقضوا حجّهم ورجعوا؛ فمروا بذلك الوادي ليلا، فسمعوا هاتفا يقول:

أجّدك تمضي الدّوم ليلا ولا ترى ... عليك لأهل الدّوم أن تتكلّما

وبالدّوم ثاو لو ثويت مكانه ... ومّر بوادي الدّوم حيّا لسلّما

فظنّت المرأة أنّ النّداء من السماء، فقالت لزوجها: هذا مقام العائذ، كان من أخيك ومنّي كيت وكيت؛ فقال: والله لو حلّ قتلك لوجدتني سريعا، ففارقها وضرب خيمة على قبر أخيه، وقال:

هجرتك في طول الحياة وأبتغي ... كلامك لما صرت رمسا وأعظما

ذكرت ذنوبا فيك كنت اجترمتها ... أنا منك فيها كنت أسوا وأظلما

^١ مصارع العشاق أبو محمد السراج القاري البغدادي ١٩٦/٢ ط دار صادر

ولم يزل مقيما حتى مات ودفن بجانب أخيه، فالقبران معروفان.^١
وقال الأخطل:

المهديات لمن هوين مسبة والمحسنات لمن قلين مقالا
يرعين عهدك ما رأيك شاهدا وإذا مذلت يكنّ عنك مذالا
وإذا وعدتك نائلا أحلفنه ووجدت دون عداتهنّ مطاللا
وإذا دعونك عمهّنّ فإنّنه نسب يزيدك عندهنّ خبالا^٢

عن يحيى بن طفيل الجشمي قال: كان عند رجل من قریش امرأة يحبّها،
فسافر عنها، فقالت له: أشيّعك، فشيعته ثلاث مراحل؛ فلما مضى قالت لخادمها:
ناولني بكرة وروثة وحصاة، فناولها. فألقت الروثة وقالت:

راث خبرك، وألقت البكرة وقالت: وعرفك، وألقت الحصاة وقالت:

حصّ أثرك؛ فسمعها رجل على الماء فلاحقه، فقال له: ما هذه منك؟ قال:
امرأتي وأعزّ الناس إليّ؛ فأخبره بالخبر، فقام على الماء، فلما أمسى أقبل نحو منزله
فوجد معها رجلا، فقتلها جميعا.^٣

^١ عيون الأخبار ١١٨/٤

^٢ خزانة الأدب البغدادى ١١/١٣٣ ط مكتبة الخانجي، القاهرة

^٣ عيون الأخبار ١١٨/٤

نافرت امرأة فضالة زوجها إلى مسلم بن قتيبة، وهو والي خراسان فقالت:
أبغضه والله لخلال فيه. قال: وما هي؟ قالت: قليل الغير، سريع الطيرة، شديد
العتاب، كثير الحساب، قد أقبل بخره، وأدبر ذفره، وهجمت عيناه، واضطربت
رجلاه، يفيق سريعاً، وينطق رجيعاً، يصبح حلساً، ويمسي رجساً، إن جاع جزع،
وإن شبع جشع.^١

ومن صفة المرأة السوء يقال: امرأة سمعنة نظرنه؛ وهي التي إذا سمعت أو
تبصرت فلم تر شيئاً تظنّه تظنّه.

قال أعرابي:

إنّ لنا لكنه ... سمعنة نظرنه

معنة مفنه ... كالريح حول القنه

إلاّ تره تظنه^٢

وقال: آخر عمر الرجل خير من أوله؛ يثوب حلمه، وتثقل حصاته، وتحمد
سريره، وتكمل تجاربه، وآخر عمر المرأة شر من أوله؛ يذهب جمالها، ويذرب
لسانها، وتعقم رحمها، ويسوء خلقها.^٣

^١ العقد الفريد ١٢١/٧

^٢ العقد الفريد ١٢٢/٧

^٣ العقد الفريد ١٢٢/٧

حديث أم زرع

عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذات يوم أنا لك كأبي زرع قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أبو زرع فقال كان نسوة في الجاهلية إحدى عشر امرأة قعدن قنذاكرن أزواجهن فذم خمس ومدح ست فأما أولى الدوام " فقالت " زوجي لحم جمل غث بجبل وعر لا سهل فيرتقي ولا سمين فينتقي " تعني " مهزولاً على رأس جبل تصف قلة خيرته كالشيء الصعب لا ينال إلا بالمشقة تقول ليس له نقي أي مخ يقال نقوت العظم ونقيته. شبهت قلة خيرته بلحم الجمل الهزيل وشبهت سوء خلقه بالجبل الصعب المرتقى ثم قالت فلا الجبل سهل فيرتقى لأخذ اللحم ولو هزيراً لأن الشيء المزهود فيه قد يؤخذ إذا وجد بغير تعب ولا اللحم سمين فتتحمل المشقة لأجل تحصيله.

وقالت الثانية زوجي عيآء طباقاء كل داء له داء شحك أو فلك أو جمع كلالك. تقول كل داء من الناس هو فيه ومن أدوائه العيآء، العي الذي لا يحسن شيئاً ولا يحكم عملاً. طباقاء مثل عيآء به كل داء من جهل وضعف وخرق والعيآء من الإبل الذي لا يضرب ولا يلقح.

شحك من الشحاك وهو عود يعرض في فم الجدي يمنعه من الرضاع. فلك المتفكك العظام والمعنى أنها تصفه بالجهل وبأن كل شيء تفرق في الناس من المعاتب موجود فيه وأنه لا خير في معاشرته ولا رجاء في رجوليته. وقالت الثالثة زوجي إذا أكل لف وإذا شرب اشتف وإذا رقد التف ولا يدخل الكف حتى يعرف البث.

يقال : لف في الأكل أكثر مخلطاً من صنوفه واشتف أخذ من الشفافة وهي البقية تبقى في الإناء من الشراب فإذا شربها قيل اشتفها وتشافها تشافاً قال وقولها لا يدخل الكف أنه كان بجسدها عيب أو داء تكتب له لأن البث الحزن وكان لا يدخل يده في ثوبها ليمس ذلك العيب فيشق عليها تصفه بالكرم .

تصفه بكثرة الأكل والشرب وقلة الجماع وكل ذلك مذموم عند العرب والعرب تنمدح بقلة الأكل والشرب وكثرة الجماع لدلالاتها على صحة الذكورية والرجولية - والمراد باللف الإكثار من الأكل واستقصاؤه حتى لا يترك شيئاً منه والاشتفاف في الشرب استقصاؤه وقولها إذا رقد التف أي رقد إلى ناحية وحده وانقبض عن زوجته أعراضاً فهي حزينة لذلك وكذلك قالت ولا يولج الكف حتى يعرف البث أي لا يمد يده ليعلم ما هي عليه الحزن فيزيله والمراد بالبث الحزن.

وقال الرابعة زوجي العشنق إن أنطق أطلق وإن أسكت أعلق - العشنق المفرط الطول تقول ليس عنده غناء من طوله بلا نفع .

العشنق الطويل المذموم الطول ويروي أنه الطويل النجيب الذي يملك أمر نفسه ولا تحكم النساء فيه بل يحكم فيهن بما شاء فزوجته تهابه إن تنطق بحضرته فهي تسكت على مضض - والمراد من قولها أنها منه على حذر فإن نطقت بعيوبه يبلغه كلامها فيطلقها وإن سكنت عنها فإنها عنده معلقة لا هي ذات زوج ولا هي أيم فكأنها قالت أنا عنده لا ذات بعل فأتتفع به ولا مطلقة فأتفرغ لغيره فهي كالمعلقة بين العلو والسفل لا تستقر بأحدهما .

وقالت الخامسة زوجي لا أنيء خبره أخاف أن لا أذره فأظهر عجره وبجره .
" العجر " أن يتعقد العصب أو العروق حتى تراها ناتئة من الجسد والبحر نحوها إلا أن البحر في البطن خاصة وامرأة بجراء لفلان بجره ورجل أبجر إذا كان عظيمها .

قولها " لا أنيء خبره " أي لا أحكمه وقولها أن لا أذره أي لا أتركه وقولها عجره وبجره أمره كله أو همومه وأحزانه أو عيوبه الظاهرة والكامنة وأصل معنى عجر وبجر ما ذكره المصنف ثم استعمالاً فيما ذكرناه والمراد أنها أجملت حال زوجها واكتفت بالإشارة إلى معائبه مخافة أن يطول الخطب بذكر جميعها .

وقالت الأولى من اللواتي مدحن أزواجهن زوجي ليل تهامة ولا حر ولا قر " أي لا برد " ولا مخافة ولا سامة، سامة تقول لا يسأمني فيمل صحبتي تقول ليس عنده أذى ولا مكروه وهذا مثل لأن الحر والبرد كلاهما فيه مكروه تقول ليس عنده غائلة ولا شراً أخافه " تصفه بجميل العشرة واعتدال الحال " .

وقالت الثانية زوجي المسّ مس أرنب والريح ريح زرنب أغلبه والناس يغلب ريح زرنب وهو ضرب من الطيب تصفه بحسن الخلق ولين الجانب كمس الأرنب إذا وضعت يدك على ظهره . وتصفه أيضاً باستعماله الطيب نظرفاً وبأنه مع شجاعته تغلبه هي لكرمه معها وهذا معنى قولها أغلبه والناس يغلب ولو اقتصرت على قولها أغلبه لظن أنه جبان ضعيف فلما قالت والناس يغلب دل على أن غلبها إياه لكرم سجاياه فتمت بهذه الكلمة المبالغة في حسن أوصافه .

وقالت الثالثة زوجي رفيع العماد عظيم الرماد طويل النجاد قريب البيت من الناد " رفيع العماد أي حسبه فوق أحساب قومه كما أن عماد بيوتهم طوال فشبهته بها والنادي مجلس الحي حيث يجتمعون طويل النجاد تصفه بامتداد القامة والنجاد حمائل السيف قريب البيت من النادي أي ينزل بين ظهرائي الناس ليعلموا مكانه .

قولها " رفيع العماد " وصفته بطول البيت وعلوه وهكذا يفعل أشراف العرب ليقصدهم الأضياف والطارقون والوافدون وقولها " عظيم الرماد " تعني

أن نار قراه للأضياف لا تطفئ لتهتدي الضيفان إليها فيصير رماد النار كثيراً لذلك وقولها " طويل النجاد " تعني أنه طويل القامة يحتاج إلى طول حمالة سيفه وفي ضمن كلامها أنه صاحب سيف فأشارت إلى شجاعته وقولها " قريب البيت من الناد " الناد " أي النادي " وقفت عليها بالسكون لمواخاة السجع .

وقالت الرابعة زوجي إن خرج أسد وإن دخل فهد ولا يسأل عما عهد " أسد تصفه بالشجاعة فهد تصفه بكثرة النوم والغفلة في المنزل على وجه المدح " .

تقول إن خرج على الناس فله شجاعة الأسد جرأة وإقداماً وإن دخل عليها كان كالفهد أما في لينه وغفلته لأنه يوصف بالحياء وقلة الشر وأما في وثوبه فكأن زوجها يثب عليها في جماعة إياها وثوب الفهد " ولا يسأل عما عهد " تعني أنه كريم كثير التغاضي لا يسأل عما ذهب من ماله .

وقالت الخامسة زوجي أبو مالك وما أبو مالك ذوابل كثيرات المبارك قريبات المسارح إذا سمعن صوت مزهر أيقن أنهن هوالك " تقول لا بوجههن ليسرحهن نهار إلا قليلاً لكنهن يتركن بفنائهن فإن نزل به ضيف لم تكن الإبل غائبة عنه ولكنها بحضرته فيقره من ألبانها ولحومها والمزهر العود تقول قد عود إبله إذا نزل به الضيفان أن ينحر لهم ويسقيهم الشراب ويأتيهم بالمعازف .

و " المبارك جمع مبرك وهو موضع نزول الإبل والمسارح مسرح وهو الموضع الذي تطلق لترعى فيه والمزهر آلة من آلات اللهو تصفه بالثروة

والاستعداد للكرم ويروي أيضاً " وهو أمام القوم في المهالك " أي في الحروب أي أنه يتقدم لثقتة في شجاعته.

وقالت السادسة زوجي أبو زرع وما أبو زرع وجدني في أهل غنيمة بشق فنقلني إلى أهل جامل وصهيل وأطيط ودائس ومنق ملاً من شحم عضدي وأناس من حلّ أذني وبجح نفسي فبجحت إليه فأنا أنام فأصبح وأشرب فأتممح وأقول فلا أقبح.

" قولها " وجدني في أهل غنيمة تعني أن أهلها أصحاب غنم ليس بأصحاب خيل قال والتقمح في الشراب مأخوذ من الناقة القامح وهي التي ترد الحوض فلا تشرب قال أبو عبيد فأتممح أي أروي حتى أدع الشرب من شدة الري وكل رافع رأسه فهو مقامح وجمعه وقامح وقامح فإن فعل ذلك بإنسان فهو مقمح وقد روى قاتنح والمراد واحد وقولها جعلني في صهيل وأطيط تعني أنه ذهب بها إلى أهله وهم أهل جمال وخيل وابل لأن الصهيل أصوات الخيل والأطيط أصوات الإبل تقول نقلني إلى قوم ذوي خيل دايس يدسون الطعام ومنق ينق الطعام وأناس من حلّ أذني أي حلاني قرطه تنوس والنوس الحركة " بجحها " سرها وفرحها بإحسانه إليها " أنام فأصبح أي لها من يكفيها ويخدمها فهي لا تكلف بخدمة " أتقنح تقول الماء لها ممكن فهي متى شئت شربت وقولها فأقول فلا أقبح تريد أن

قولي مقبول وخطئي مستور وقال غير ابن الأعرابي أهل داييس متق أي داييس الغنم والمنتق الدجاج قال وأتقنح أشرب شربة بعد شربة .

قولها " بشق " أنهم كانوا في شق جبل أي ناحيته ولقائهم وسعهم، والأطيط أصله صوت أعواد المحامل والرحال على الجمال فأرادت أنهم أصحاب محامل تشير بذلك إلى رفاهتهم وقولها " ودايس ومنتق " إما أن يكون المراد من داييس أن الخيل تدوس الطعام أي الحب فكأنها أرادت أنهم أصحاب زراعة أو أن عندهم طعاماً متقياً وهم في داييس شيء آخر أي في بقيته فخيرهم متصل، وقولها ملاً من شحم عضدي، فالعضد إذا سمت سمن سائر الجسد وإنما خصت العضد بالذكر لأنه أقرب ما يلي بصر الإنسان من جسده وقولها، وأناس من حلى أذني، أنه ملاً أذنيها بالحلى كما جرت عادة النساء.

والمراد من قولها كله أنه نقلها من شظف عيش أهلها إلى الثروة الواسعة من الخيل والإبل والزرع الخ.

ابن أبي زرع وما ابن أبي زرع تكفيه ذراع الجفرة ومضجعه مثل مسل الشطبة " الجفرة " العناق بنت أربعة أشهر أو خمسة أشهر والذكر جفر والشطبة السعفة وقالوا الحربة تقول هو خفيف العظم وأصل الشطبة ما شطب من جريد النخل وهو بسعفة فأخبرت أنه مهفهف ضرب اللحم .

الجفرة الأنثى من ولد الماعز إذا كانت بنت أربعة أشهر وفصل عن أمه وأخذ في الرعي والشطبة سيف سل من غمده.

والمراد أنها تصف ابن أبي زرع بقله الأكل وخفة الجسم وهذان ممدوحان بنت أبي زرع وما بنت أبي زرع ملاً فناءها وصفر رداءها ورضا أمها وعبر جارتها تقول إذا جلست في فنائها ملأته من حسننها وكمالها رضا أمها لا تعتب عليها في شيء عبر جارتها تقول إذا رأتها جارتها استعبرت من جمالها وحسنها .

صفر رداؤها الرداء الثوب يلبس فوق سائر اللباس أي أن رداءها كالخالي الفارغ إذ لا يمس من جسمها شيئاً لأن ردفها وكتفيها يمنعن مسه من خلفها شيئاً من جسمها ونهداها يمنع مسه شيئاً من مقدمها أي أن امتلاء ردفها ومنكيها وقيام نهديها يرفعان الرداء عن جسمها قال الشاعر:

أبت الروادف والنهود لقمصها ... من أن تمس بطونها وظهورها

خادم أبي زرع وما خادم أبي زرع لا ينث حديثنا تنقيشاً ولا تفرق ميرتنا تنقيشاً ولا تملأ بيتنا "تعشيشاً" لا تنت لا تظهر "تنقيشاً" تعني الطعام لا تأخذه فتذهب به تصفها بالأمانة والتنقيش الإسراع في السير قال الفراء خرج فلان يتنقيش إذا أسرع في سيره.

أم أبي زرع وما أم أبي زرع عكومها رداح وبيتها فساح "العكوم" الاحمال والاعدال التي فيها الأوعية من صنوف الأطعمة والمتاع واحداها عكم ورداح

عظام ومنه قيل للمرأة رداح إذا كانت عظيمة الكفل تعني أن المرأة ذات كفل عظيم فإذا استقلت تتأ الكفل بها من الأرض " حتى يصير تحتها فحرة تحري تحتها الرمان وبعضهم يقول هو الشديان ".

ومحصل قول زوجة أبي زرع في أمه أنها وصفتها بأنها كثيرة الإناث والمال واسعة البيت فهي في خير وفي ريش رغد وأشارت بهذا الوصف إلى أن زوجها أبا زرع كثير البر بأمه وأنه ليس كبير السن لأن ذلك هو الغالب في من يكون له والدة توصف بمثل ما وصف به هنا.

خرج أبو زرع والأوطاب تمخض فأبصر امرأة معها ولدان لها يلعبان من تحت خصرها برمانتين فنكحها وطلقني فتزوجت بعده رجلاً سريعاً ركب سريعاً وأخذ خطيباً وأراح علي نعماً ثرياً وجعل لي في كل رائحة زوجاً وقال لي يا أم زرع كلي وميري أهلك قالت فوالله لو جمعت جميع ما أعطاني ما بلغ أصغر آنية أبي زرع قالت عائشة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لي الله عليه وسلم يا عائشة كنت لك كأبي زرع لأم زرع قولها خطيباً ربح سمي خطيباً لأنه من قرية يقال لها الخط فنسبت الرماح إليها وإنما أصل الرماح من الهند ولكنها تحمل إلى الخط في البحر ثم تفرق في البلاد قولها نعماً ثرياً تعني الأبل والثري الكثير من المال.

الأوطاب جمع وطب وهو وعاء البن تمخض من المخض وهو اخراج الزبدة من اللبن بالكيفية المعروفة بالمخض والمراد أنه خرج في زمن الخصب والربيع والخيرات في داره وفيرة رجلاً سرياً أي من سراة الناس أي كبارهم في حسن الصورة والهيئة ركب شرياً. تعني فرساً خياراً فائقاً وأراح علي نعماً ثرياً أي جاء بها في الرواح وهو آخر النهار أشارت الى أنه ربحها من الغزو وذلك دليل شجاعته والنعم الابل خاصة ويطلق على جميع المواشي إذا كان فيها إبل. وثرياً أي كثيرة رائحة الآتية وقت الرواح زوجاً أي اثنين ميري أهلك أي أطعمهم من الميرة وهي الطعام هكذا بالغ في إكرامها ومع ذلك كانت أحواله عندها محتقرة بالنسبة لأبي زرع لأن أبا زرع كان أول أزواجها فسكنت محبته في قلبها وما الحب إلا للحبيب الأول.^١

^١ بلاغات النساء ابن طيفور ص ٧٩ ط مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة . نشر الدر في المحاضرات ٤٩/٤

باب ما جاء في الغيرة

يروى عن عروة بن الزبير، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول وهو على المنبر: " لا شيء أغير من الله. " وعن عبد الله بن مسعود أنه قال: أن الله ليغار للمسلم فليغر وعنه، وعن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " ليس شيء أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش. " وعن كعب بن مالك أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: " الغيرة، غيرتان: فغيرة يحبها الله، وغيرة يكرها الله. " قلنا يا رسول الله، ما الغيرة التي يحبها الله، قال: " أن يغار أن يأتي معاصي الله، ويتتهك محارمه. " قلنا وما الغيرة التي يكرها: قال " أن يغار أحدكم في غير كنهه. " وعن عبد الملك بن عمير بن عبد الله بن بكار أنه قال: " الغيرة غيرتان: غيرة يصلح بها الرجل أهله، وغيرة تدخله النار. " ^١

وقيل: غيرة النساء أشد من غيرة الرجال. وقيل: هذا خطأ فليس ما ينال المرأة إذا رأت امرأة على فراش زوجها، من جنس ما ينال الرجل إذا رأى رجلا على فراش امرأته.

تزوّج رجل من همدان بنت عمه وكان محبا لها فلم يلبث أن ضرب عليه
البعث إلى أذربيجان فأصاب بها خيرا واستفاد جارية تسمّى حبابة وفرسا يقال له
الورد. فلما قفل القوم امتنع من القفول وقال أخشى أن امرأتي تمنع عليّ جاريّتي،
وإني لمشغوف بها، ثم قال:

ألا لا أبالي اليوم ما صنعت هند ... إذا بقيت عندي حبابة والورد
شديد مناط المنكين إذا جرى ... وبيضاء مثل الرّيم زيّنها العقد
فسمعت بذلك المرأة فكتبت إليه:

ألا فاقره منّي السلام قل له ... غنينا بفتيان غطارفة مرد
إذا شاء منهم ناشئ مدّ كفّه ... إلى كفل ريّان أو كاعب نهد
فأرسل لنا منك السراح فإنّه ... منانا ولا ندعو لك الله بالردّ
إذا رجع الجند الذي أنت فيهم ... فزادك ربّ الناس بعدا إلى بعد

فلما وصل إليه الكتاب باع الجارية وبادر إليها فراها معتكفة في مصلاها فقال: ما
فعلت؟ فقالت: معاذ الله أن أركب محرّما ولكني أردت أذيقك طعم الغيرة كما
أذقتني^١.

وكان رجل بالكوفة متزوجا بابنة عمه وله ضيعة بالبصرة يخرج إليها في كل سنة، فتزوج امرأة بالبصرة فسقط خبرها إلى ابنة عمه فكتبت يوما كتابا عن أم البصرية تعزيه في ابتها وتستعجله لقسمة ميراثها ودفعته إلى رجل غريب وأمرته أن يوصله إليه خفية فلما قرأه تجهّز، وقال: إن أمر ضيعتي بالبصرة قد تشعث، ولا بد من أن ألم بها. فقالت المرأة: كم تقول البصرة؟ أحسبك ذا امرأة بالبصرة تشتاق إليها أحلف لي بطلاق كل زوجة لك بالبصرة. فقال الرجل في نفسه: وما يضرني ذلك وقد ماتت امرأتي بها؟ فحلف لها فقالت:

استقر الأمر فلا بأس بالضيعة وأخبرته بالخبر.^١

ويروى: أن سارة كانت تحب إبراهيم خليل الرحمن. فمكثت معه دهراً لا ترزق ولداً، فلما رأت ذلك وهبت له هاجر، وكانت أمة لها قبطية، فولدت لإبراهيم إسماعيل، صلى الله عليهما، فغارت من ذلك سارة ووجدت في نفسها، وعتبت على هاجر. فحلفت لتقطع عضواً من أعضائها فقال لها إبراهيم، صلى الله على نبينا وعليه: هل لك أن تبري يمينك؟ قالت: كيف أصنع؟ قال: أنقبي أذنيها وخصفيها. والخصف هو الخياطة. ففعلت ذلك بها، فوضعت في أذن هاجر قرطين فازدادت حسناً. فقالت سارة: إني إنما زدتها جمالاً: فلم تتركه على كونها

معه. ووجد بها إبراهيم وجداً شديداً، فنقلها إلى مكة وكان يزورها في كل وقتٍ من الشام لشغفه بها، وقلة صبره عنها.^١

ذكر الشعبي إنَّ عبد الله بن رواحة أصاب جاريةً له، فسمعت به امرأته، فأخذت شفرةً فأتته حين قام وقالت له: أفعلتها يا ابن رواحة؟ فقال: ما فعلت شيئاً. فقالت: لتقرآن قرآناً، وإلاّ بعجتك بها. قال: ففكرت في قراءة القرآن وأنا جنب فهبت ذلك، وهي امرأةٌ غيراء في يدها شفرةٌ لا آمن أن تأتي بما قالت. فقلت:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا أنشقَّ معروفٌ من الصّبح ساطع

أرانا الهدى، بعد العمى، فقلوبنا ... به موقناتٌ، أن ما قال واقع

يبيت يجافي جنبه عن فراشه، ... إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

قال: فألقت السّكين من يدها، وقالت: آمنت بالله، وكذّبت البصر. قال: فأتيت

النّبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، فأخبرته بذلك، فضحك وأعجبه ما صنعت.^٢

وكان بعض العلماء لشدة شهوة الباه في قلوب النساء، وتمكّنه فيهنّ، وشدة

غيرته، يقول: ليس المصيبة في معاتبة الرّجل المرأة، إنّما المصيبة في معاتبتها إيّاه.

^١ أخبار النساء ص ٨٣

^٢ أخبار الحمقى والمغفلين ابن الجوزي ص ٨٣ ط دار الفكر اللبناني

فإنّها إن نظرت إليه ووقع بقلبها موقع حظوةٍ لم يلبث أن تصير في يده، وتبعث
الرّسائل والأشعار والتّحف.^١

^١ أخبار النساء ص ٩٣

باب ما جاء في وفاء النساء

حكى الأصمعي، عن رجلٍ من بني ضبّة قال: ضلّت لي إبّـلٌ فخرجت في طلبها حتّى أتيت بلاد بني سليم، فلمّا كنت في بعض تخومها، إذا جاريةٌ غشى بصري إشراق وجهها، فقالت: ما بغيتك فإنّي أراك مهموماً؟ قلت: إبّـلٌ ضلّت لي، فأنا في طلبها. قالت: فتحب أن أرشدك إلى من هي عنده؟ قلت: نعم. قالت: الذي أعطاكهنّ هو الذي أخذهنّ فإن شاء ردهنّ، فأسأله من طريق اليقين لا من طريق الاختيار. فأعجبني ما رأيت من جمالها وحسن منطقها، فقلت لها: هل لك من بعلٍ؟ قالت: كان والله فدعي فأجاب إلى ما منه خلق، ونعم البعل كان. قلت لها: فهل لك في بعلٍ لا تدمّ خلائقه، ولا تخشى بوائقه؟ فأطرقت ساعةً ثم رفعت رأسها وعيناها تذرّفان دموعاً فأنشأت تقول:

كنّا كغصنين من بانٍ غذاؤهما ... ماء الجدّاول في روضات جنّات
فاجتث صاحبها من جنب صاحبه ... دهرٌ يكرّ بفرحاتٍ وترحات
وكان عاهدني إن خانني زمنٌ ... أن لا يضاجع أثى بعد موتات
وكنت عاهدته أيضاً، فعاجله ... ريب المنون قريباً مذ سنيات
فاصرف عتابك عمّن ليس يصرفه ... عن الوفاء له خلب التّحيّات

قال: فانصرفت وتركتها.^١

قيل في المثل: أوفى من مكيهة وهي امرأة من بني قيس بن ثعلبة، كان من وفائها أن السليك بن سلكة عزا بكر بن وائل، فلم يجد غفلة يلتمسها، فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا: إن هذا الأثر قدم ورد الماء، فقصدوا له، فلما وافى حملوا عليه فعدا حتى ولج قبة فكيهة فاستجار بها، فأدخلته تحت درعها فانتزعوا ضمارها فنادت إخوتها فجاءوا عشرة، فمنعوه منها. قال: وكان سليك يقول: كأني أجد خشونة شعر استها على ظهري حين أدخلتني تحت درعها: وقال:

لعمر أيبك وابناء تنمي ... لينقم الجار أخت بني عوارا

من الخفريات لم تفضح أخاها ... ولم ترفع لوالدها شنارا

عنيت به فكيهة حين قامت ... لدخل السيف فانتزعوا الخمارا^٢

قال الأصمعي: قال لي الرّشيد: امض إلى بادية البصرة فخذ من تحف كلامهم وطرف حديثهم. فأنحدرت، فنزلت على صديق لي بالبصرة، ثم بكّرت أنا وهو على المقابر، فلمّا صرت إليها إذا بجارية نادى إلينا ريح عطرها قبل الدّنوّ منها،

^١ أخبار النساء ص ١٢٦

^٢ المحاسن والأضداد ص ٨٣

عليها ثيابٌ مصبغاتٌ وحليٌّ، وهي تبكي أحراً بكاءً. فقلت: يا جارية ما شأنك؟
فأنشأت تقول:

فإن تسألاني فيم حزني؟ فإنني ... رهينة هذا القبر يا فتیان.

أهابك إجلالاً، وإن كنت في الثرى، ... مخافة يومٍ أن يسؤك مكاني
وإنّي لأستحييك، والترّب بيننا، ... كما كنت أستحييك حين تراني.

فقلنا لها: ما رأينا أكثر من التّفاوت بين زيّك وحزنك فأخبري بشأنك؟
فأنشأت تقول:

يا صاحب القبر، يا من كان يؤنّسني ... حيّاً، ويكثر في الدّنيا مواساتي
أزور قبرك في حلّي وفي حللٍ، ... كأنّني لست من أهل المصيّبات
فمن رأيي، رأى عبريّ مفجعةً ... مشهورة الزّيّ تبكي بين أمواتي.

فقلنا لها وما الرّجل منك: قالت: بعلي، وكان يجب أن يراني في مثل هذا الزّيّ،
فاليت على نفسي أن لا أغشى قبره إلّا في مثل هذا الزّيّ لأنّه كان يحبّه أيّام حياته،
وأنكرتماه أنتما عليّ.

قال الأصمعي: فسألته عن خبرها ومنزلها. وأتيت الرّشيد فحدّثته بما سمعت
ورأيت، حتّى حدّثته حديث الجّارية. فقال: لا بدّ أن ترجع حتّى تخطبها إليّ من
وليّها، وتحملها إليّ، ولا يكون من ذلك بد. ووجّه معي خادماً وما لا كثيراً.

فرجعت إلى قومها فأخبرتهم الخبر، فأجابوا وزوجوها من أمير المؤمنين وحملوها معنا وهي لا تعلم. فلما صرنا إلى المدائن نما إليها الخبر، فشهمت شهقةً فماتت، فدفناها هنالك. وسرت إلى الرشيد فأخبرته الخبر، فما ذكرها وقتاً من الأوقات إلا بكى أسفاً عليها.^١

قال الكسروي: كتب بلاش بن فيروز إلى ملك الهند يخطب ابنته، فلم ينعم له، ورد رسوله خائباً، فتجشم، وسار إليه في خيله ورجله، فلما اصطفت الخيلان، دعاه بلاش إلى المبارزة، وقال: «إنه عار على الملوك أن يوردوا جنودهم الهلاك، ويفوزوا بأنفسهم». فبرز إليه ملك الهند، فاختلفت بينهما ضربتان، فمنعت «بلاشاً» حصانه درعه، وضرب بلاش الهندي على عاتقه، فقطع حبله، حتى انتهى السيف إلى ثنؤته، فخر ميتاً، وانهمت خيله، فافتتح بلاش مدينته، وأمر ثقاته، فأحدقوا بقصر ابنة الملك، فلما احتوى على أمواله، بعث إلى ابنة الملك أن تأتيه، فقالت للرسول، وهي تبكي «قل للملك المزين بالحلم، المحبب في رعيته، السعيد بالظفر، إنك قد ملكتني، وصرت ممن يستحق عطفك ورأفتك، فإن رأيت أن تطيب نفساً عن النظر إلي، حتى ترجع إلى دار مملكتك فافعل».

فانصرف الرسول إلى بلاش، فأخبره فأجابها إلى ما سألت، وسار وحملها حتى قدم دار المملكة، فهيأ لها مقصورة مفردة عن سائر حرمه، فأنزلها فيها، وأمر

لها بعتيق الديباج، وفاخر الجواهر، وإسفاط من الذهب، والصلات والجوائز والأثاث، ما لم يأمر لغيرها من نساءه؛ واستأذنها في الدخول عليها، فأذنت له، فدخل عليها، وأقام عندها سبعة أيام ولياليها عجباً منه بها، لا يحير إليها جواباً، ولا يخف عن صدر مجلسها؛ فخرج من عندها، اليوم الثامن، وقد وقع في قلبه ما أظهرت من خفة مجلسه عليها، ولبثت أشهراً لا يدخل عليها، فقالت يوماً لحاضتها: «ما أعجب أمر الملك! بذل دمه في طلبي، حتى إذا ظفر سلا انطلقى حتى تسألي عن عدة نساءه، وأيهن أكرم عليه، وأتيني بعلم ذلك».

فانطلقت حتى عرفت ذلك، وانصرفت فقالت: «إني وجدت له أربعمئة امرأة ما بين أمة وحرّة، وليس فيهن أكرم عليه من ابنه سائس من سواسه، أعجبتّه، فتزوج بها». فقالت: «انطلقني إليها، وأقربها مني السلام، وأعلميها أني أريد مؤاخاتها، والانقطاع إليها».

فانطلقت الحاضنة إلى ابنة السائس، فأبلغتها رسالة مولاتها، فقالت لها: «أقربها مني السلام، وأعلميها أني قد أحببتها وأجبتها إلى ما سألت، فتصير إليّ». فانصرفت، فأخبرتها بما قالت؛ فتهيات بأحسن هيئة، وأقبلت إليها، ودخلت عليها، فرفعت مجلسها وأقبلت عليها، فذكرت حبها لها، ورغبتها في مواصلتها، فردت عليها ابنة السائس أحسن الرد، وأعلمتها سرورها بذلك، ثم تحدثتا ساعة؛ وانصرفت، وجعلت الهندية تأتيها غباً، وتظهر الأُنس؛ فلما أنست بها، قالت لها:

«إنك قد استلبت قلب الملك، وقهرت جميعنا بفضلك، وليس لواحدة منا نصيب، فأعلمينا الأمر الذي فضلتنا به لنزداد سروراً بما أوتيت، ومحبة لك، والانقطاع إليك» .

قالت: «إني لما عرفت ضعف نسبي، وقلة جمالي، علمت أنه لا يرجع الملك مني إلى شيء أحظى به عنده مثل المؤاتاة في الخلوة، وأن أبسطه إذا هم بالحركة، وأستميل قلبه باللطف وفضل الخدمة. فلما رأي على ذلك مستمرة، ورأى من سائر نسائه أنفة الأكفاء، وزهو الجمال، وخيلاء الملك، وعلمت أني إن أخذت ما أخذته، مع خمول نسبي، وقلة جمالي، ودقة خطري، لا يليق بي مثل الذي يليق بهن، ففضلني على جميع نسائه بذلك» .

فلما سمعت ابنة الملك ذلك، علمت أن قلوب الرجال لا تستمال إلا بالمؤاتاة، وسرعة الإجابة في الباه عند المشغلة؛ فعزمت أن تجعل ذلك عدة لاستعطاف قلب الملك. فانصرفت إلى قصرها، وقالت لبعض جواربيها:

«اذهبي إلى فلانة (تعني ابنة السائس) ، فإن رأيت الملك عندها فأعلميها أني عليلة من وجع عرض لي» . فانطلقت الجارية، فإذا الملك عندها، فأخبرتها بذلك، فرق الملك لها، وذكر غربتها، وقتله أباه، فقال لابنة السائس: «ما ترين في إتيانها؟ فقالت: «أيها الملك؟ إنه ليس في نسائك من لها عندي مثل منزلتها فصر إليها، فإنها غريبة قد فارقت أهلها، وهي في موضع رحمة» .

فقام الملك، حتى دخل عليها، وانتهى إلى باب مجلسها، فقامت إليه تمشي بأحسن هيئتها، متكسرة في حليها، وزينتها عبقةً بطيها وعطرها، فقبلت بين عينيه، وأخذت بيده حتى أجلسته في صدر فراشها، وجعلت تقبل يديه ورجليه، ضاحكةً إليه، مظهره السرور به. فجذبها إلى نفسه ودعاها إلى المضاجعة، فأته؛ ولم يرد في الخلوة شيئاً إلا أجابته إليه؛ فلما قضى حاجته نازعها إلى المحادثة، فقال: «أين ما ذكر رسولك من وجعك»؟

قالت: «يا سيدي، كنت متوجعة لفراقك حتى شفاني لقائك، وقلت ذلك لما نالني من تباريح الشوق إليك وطول صدودك وسلوتك».

ثم أخذ معها في المداعبة، وأقام عندها سبعة أيام، فبينما هما يتلاعبان ويتذاكران ويتعانقان، إذ دخلت جارية لابنة السائس، فحيت الملك بتحية الملوك، ثم قالت للهندية: «إن سيدتي (تعني ابنة السائس) تقول:

قد اجتمع فيك ثلاث خصال: الأولى الغدر بمعلمتك، والثانية فضل تطاولك، والثالثة كفران النعمة للمنعم، وإني عن قريب رادتك من الملك إلى غصص الغيظ».

فأفحمتها، وهملت عيناها، ونظرت إلى الملك كالمستغيثة به فقال لها الملك: «يا حبيتي؟ ما تنكرين من أمتك؟ قد وهبتها لك وجميع ما تملك». فتجلى عنها غمها، فقالت لرسولتها: «انطلقني فأعلميها إن الملك قد وهبها وما تملك لي،

وقولي لها: أرجعك فحش نفسك إلى لؤم حسبك، وإهمال أدبك. اثيني، الساعة، بصغار المذلة، ورقة العبودية» .

فلما أبلغتها الرسول ذلك، أقبلت فدخلت عليها فحيت الملك وقامت بين يديه؛ فقالت لها الهندية: «ما كان أعظم زهوك في رسالتك؟ قالت:

«يا سيدتي، أتأذنين لي في الكلام؟ قالت: «تكلمي»، قالت: «أيتها السيدة، لست متوجهة إليك بشيء هو أملك بك من حلمك، ولا أعطف علي من فضلك؛ ولم يظلم من رفع فوقي من هو أفضل مني، وكل فرع يرجع إلى أصله، وكل زهر ينسب إلى سنخه» فقالت: «صدقت، فدعي عنك كلام الأدب، فقد ملكتك على رغم أنفك، وأنا مزوجتك من فلان خادمي، فليس لك فضل عليه». قالت ابنة السائس: «من اعتاد معالي الأمور، لم تطب نفسه بأسافلها، ومن صاحب العظماء، أبت غريزته الأدياء؛ وإنما ترقبت عطفك، ورجوت حسن نظرك؛ فأما إذا عزمت على هذا، فقد طاب الموت، وما الذي استبقي منك؟

ثم قالت: «أيها الملك، إن جذل المسرة منك لا يستقر ويقع موقعه إلا بعد المخالفة عندك. فاحترس من هذه الهندية، فإنها لا تؤمن عليك، لأنها ليست من جنسك فيعطفها عليك الرحم، ولا من أهل مملكتك، فتعرف تطولك عليها. وإنما هي شبيهة بموتورة قد قتلت أباه، وهدمت عزها، فاحترس منها، ولا يلهينك موقعها من قلبك، فإنها متى احتالت في قتلك، لم يكن في أيدينا من الظفر إلا قتلها،

كما كان من أمر الثعلب وعظيم الطير، فقال الملك: وما كان من حديثهما؟ قالت: يقال إن ثعلباً جاع في ليلة، فرقي شجرة ليأكل منها، فسال الوادي الذي فيه تلك الشجرة بسيل شديد، فاقتلعها والثعلب عليها، ثم رفعها ووضعها، حتى ألقى الثعلب إلى أرض بعيدة من أرضه؛ فأصبح، وقد ألقاه السيل، إلى سفح جبل كثير الأشجار، ثممر الأغصان، وعلى تلك الأشجار جنس من الطير لا يحصى عدداً؛ فأقعى إلى شجرة قصياً، مقشعراً، لا يعرف أرضه، ولا يقدر على مؤالفة الدواب. فمر به عظيم الطير، فقال له: «ما أنت؟» فقال: «أنا دابة سال بي السيل، فألقاني في جبلكم، وقد أصبحت غريباً». فقال له عظيم الطير: «فهل لك حرفة؟» قال: «نعم. أعرف الثمار إذا بلغت حد بلوغها، وأصنع للطير أكنافاً في الأرض، تكن فيها فراخها من الحر والبرد»، فقال له عظيم الطير: «قد أدركت عندنا بغيتك، فأقم عندنا نواسك، ونعرف حق مجاورتك».

فأقام الثعلب عند ملك الطير؛ فكان يعرفهم الثمار المدركة، ويحفر لهم بمخاليبه قبوراً في الأرض يفرخن فيها؛ وكان الثعلب، إذا جن عليه الليل، وقرم إلى اللحم، أدخل يده في جحر من تلك الأحجرة، فأخرج طيراً أو فراخاً، فأكله ودفن ريشه، وجعلت الطير تتفقد ما كان يأكل واحداً بعد واحد، فقال بعضها لبعض: «ما فقدنا أفاضلنا إلا منذ صارت هذه الدابة بين أظهرنا، وكانت هذه الطير تطيل الغيبة، وما تدري ما دهاها». فقال عظيمها: إن هذا حسدٌ منكن لهذه الدابة، فلا تغفلن ما

أصبحتن فيه من فضل المطعم، وما فيه فراخكن من هذه الأكفان التي لا يخاف عليها برد فيها ولا حر» ، فقالت الطير: «أنت سيدنا؛ وأبصر بالأمور منا» . قال: «وعلي أن اقطع هذا القول، وأبين حق ذلك من باطله بنفسي» .

فلما أظلم الليل نزل من الشجرة، فدخل بعض تلك الأكفان وأقبل الثعلب على العادة التي اعتادها إلى الكن، فأدخل يده، فقبض على رأس الملك، فقال الملك للثعلب: «لقد نصحتني الطير لو قبلت نصحتها» . قال الثعلب: «أنت هو» ؟ قال: «نعم» ، قال: «ما ظننت أن يبلغ حمقك كل هذا» ؟ قال ملك الطير: «دعني أردك في منزلتك بحسب ما رأيت من فضل علمك، ولطيف حيلتك» . قال له الثعلب: «إن أبوي أدباني أن لا أعلق أنيابي بشيء، وأتركه، إذ ليس من جهلك أن لا تتجزأ من الثمار، ومن الأكفان، بما كان آباؤك يكتفون به؛ ولم ترض حتى اخترت أمري بنفسك، ولم تجعل التغيرير في ذلك بغيرك» . ثم أكله، ودفن ريشه، وفقدت الطير عظيمها، فاستوحشت، وضربت وضربت الثعلب ضرباً بمخاليبها ومناقيرها حتى قتلتها، ولم يصلن في عظيم خطر ملكهن إلى أكثر من قتل الثعلب» .

فاحترس من هذه الهندية.

قالت الهندية: «إنما تقرعين المرأة بأربعة رجال: بأبيها وأخيها وولدها وبعلمها، وأفضل النساء المختارة بعلمها على جميع أهلها، والمؤثرة له على نفسها، فكيف بمن ذهب أبوها وأخوها، فبقي بعلمها؟ أفتحب أن تهلكه؟

على أن مثلك، في رداءة همتك، وخبث نيتك، مثل الغراب والحمامة.

قال الملك: وما كان من حديثهما؟ قالت: «زعموا أن غراباً ألف مطبخاً لبعض الملوك، فأخذ من أطيب اللحمان التي قد صارت فيه شيئاً، فظنوا أن الغراب أخذه لقلة وفائه، ولؤم جوهره، فطردوه عن مطبخهم، وقالوا: ما نرجو من هذا الغراب، وهو من الطيور التي تعاف، ويتطير منها؟؟ فأفشى ذلك الغراب أمره إلى حمامة قد كان بينهما معرفة، وفزع إلى رأيها، وأخبرها ما كان فيه من نعيم المأكّل والمشرب. فقالت له الحمامة:

انطلق بي حتى تريني هذا المطبخ. فانطلق حتى أتى سطح المطبخ، فقالت الحمامة: إني أرى هذا البيت ليس فيه موضع مدخل، فاحفر لي بمنقارك قدر ما أدخل، فإن منقاري يضعف عن ذلك. فحفر الغراب في سقف البيت بمنقاره، فجعل لها خازن المطبخ موضعاً تأوي إليه، فلبثت في ذلك البيت قريرة عين، فنادها الغراب: «ما هكذا قدرت فيك». فقالت الحمامة: «لو وفيت لك، حل بي غدرك، وإن القوم عرفوا وفائي، وحسن جوارري، وعرفوا غدرك، وقلة وفائك، ونكث عهdek».

فهذا مثلي ومثلك، يا ابنة السائس! إني لو وفيت لك، أرداني غدرك، وقتلني مكرك! قالت ابنة السائس: «أيتها السيدة! إن الذي سمعت مني، كان لشدة الأئفة، فأردت أن أنفي عن نفسي الذي أردت من إنكاحي خادمك فلاناً».

قالت الهندية: «لا بدّ من ذلك». فقالت ابنة السائس: «من اعتاد معالي الأمور، لم تطب نفسه بأسافلها، الآن استعذبت الموت»، فعمدت إلى سم كان معها، فقذفته في فيها، فخرت ميتة، ووفت الهندية لزوجها، فأفلحا.^١

ومنهن «شيرين»، امرأة أبرويز، فإن شيرويه بن أبرويز، لما قتل أباه، وتوطد له الملك، بعث إلى شيرين يدعوها إلى نفسه، فامتنعت عليه، وأبت أن تجيبه إلى ذلك، فغصبها ضياعها، وعقارها، وذخائرها، وأموالها، مع ما رماها به، فبعثت إليه، وقالت: «أيها الرجل! إن لم يكن مما سألت بد، فاقض لي ثلاث حوائج حتى أتابعك على ما تريد». فقال:

«وما هذه الحوائج؟» قالت: «إحداها أن ترد علي ضياعي وأموالي، والثانية أن تصعد منبرك بمحضر من مرزبتك، وأساورتك، وعظماء أهل مملكتك، وتبرأ مما قذفتني به، والثالثة أن أباك أودعني وديعة، فتأمر أن يفتح لي باب الناووس لها ومعها خاتم، وفيه سم ساعة، فنثرته في فيها، وعانقت قبر زوجها، فماتت.^٢

توفي رجل وبقيت امرأته شابة جميلة، فما زال بها النساء حتى تزوجت. فلما كانت ليلة زفافها رأت في المنام زوجها الأول أخذاً بعارضتي الباب وقد فتح يديه وهو يقول:

^١ المحاسن والأضداد ص ٢٢٨

^٢ المحاسن والأضداد ص ٢٢٩

حيّيت ساكن هذا البيت كلّهم إلاّ الرّباب فإنّي لا أحييها
 أمست عروساً وأمسى مسكني جدثٌ بين القبور وإنّي لا أأقيها
 واستبدلت بدلاً غيري، فقد علمت أن القبور توارى من ثوى فيها
 قد كنت أحسبها للعهد راعيةً حتّى تموت وما جفّت مآقيها
 ففزعت من نومها فزعاً شديداً، وأصبحت فاركا وآلت أن لا يصل إليها رجلٌ
 بعده أبداً.^١

ولمّا قتل عثمان، رضي الله عنه، وقفت يوماً على قبره نائلة بنت الفرافصة
 الكلبي، فترحّمت عليه ثمّ انصرفت إلى منزلها، ثمّ قالت: إنّي رأيت الحزن يبلى
 كما يبلى الثوب، وقد خفت أن يبلى حزن عثمان في قلبي. فدعت بفهرٍ فهتفت
 فهاها، وقالت: والله لا يقعد رجلٌ منّي مقعد عثمان أبداً. وخطبها معاوية فبعثت إليه
 أسنانها، وقالت: أذات عروسٍ ترى؟ وقالوا: لم يكن في النساء أحسن منها
 مضحكاً.^٢

كان هدبة بن خشرم العذري قتل ابن عمر يقال له زياد بن زيد فطلبه سعيد بن
 العاص، وهو يلي المدينة لمعاوية فحبسه، فقال في السّجن قصيدته التي يقول فيها:
 عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرجٌ قريب

^١ أخبار النساء ص ١٢٧

^٢ أخبار النساء ص ١٢٨

وفي سجنه يقول أيضاً:

ولمّا دخلت السّجن يا أمّ مالك ... ذكرتك والأطراف في حلق سمر

وعند سعيد غير أنّي لم أبح ... بذكرك إلّا من يذكر بالأمر

وسئل عن هذا، فقال: لمّا رأيت ثغر سعيدٍ شبّهت به ثغرها، وكان سعيد حسن الثّغر. فحبس هدبة سبع سنينٍ يتظر به احتلام المستورد بن زيادة، فلمّا احتلم، أخرج صبح تلك الليلة إلى عامل المدينة فرغبه في العفو، وعرض عليه عشر ديّاتٍ، فأبى إلّا القود. وكان ممّن عرض الدّيّات عليه الحسن بن علي، عليهما السّلام، وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم. فلمّا أبى، بعث هؤلاء وغيرهم من إخوانه بالحنوط والأكفان فدخل عليه رسولهم السّجن فوجدوه يلعب بالنرد. فجلسوا ولم يقولوا له شيئاً، فلمّا لحظهم إذا بطرف بردٍ خرج من بعض الأكفان فأمسك، ثمّ قال: كأنّه قد فرغ من أمرنا؟ فقالوا: أجل. فقام فاغتسل ثمّ رجع إليهم فأخذ من كلّ واحدٍ ثوباً وردّ ما بقي. وأخرج ليقاد منه، فجعل ينشد الأشعار. فقالت له حيا المدينة: ما رأيت أفسى قلباً منك، تنشد الأشعار، وقد دعي بك لتقتل، وهذه خلفك كأنّها غزال عطشانٌ تولول؟ يعني امرأته. فوقف، ووقف النَّاس معه، فأقبل على حيا فقال:

وجدت بها ما لم تجد أمّ واجدٍ ... ولا وجد حبّي بابن أم كلاب

وإنّي طويل السّاعدين شمر طلّ ... على ما اشتهيت من قوّة وشباب.

فأغلقت الباب في وجهه. وعرض له عبد الرحمن بن حسان فقال: أنشدني!
فقال له: على هذه الحال؟ قال: نعم. فابتدأ ينشده:

ولست بمفراح إذا الدهر سرّني ... ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتمنى الشرّ، والشرّ تاركي، ... ولكن متى ما أحمل الشرّ أركب^١

ويقال في المثل: هو أوفى من أم جميل، وهي من رهط ابن أبي بردة من دوس، وكان من وفائها أن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي قتل رجلاً من الأزد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا على ضرار بن الخطاب الفهري ليقتلوه فعدا حتى دخل بيت أم جميل وعاذ بها، فقامت في وجوههم ودعت قومها فمنعوه لها فلما ولي عمر بن الخطاب ظنت أنه أخوه فأتته بالمدينة، فلما انتسبت له عرف القصة فقال: إني لست بأخيه إلا في الإسلام وهو غاز وقد عرفنا متك عليه وأعطاها على أنها ابنة سبيل^٢.

وعن أبي حمزة الكناني قال: كنت في حرس خالد بن عبد الله القسري، فقال خالد: من يحدثني بحديث عسى يستريح إليه قلبي؟ فقلت: أنا. فقال: هات. فقلت: إنه بلغني أنه كان فتى من بني عذرة، وكانت له امرأة منهم، وكان شديد

^١ أخبار النساء ص ١٣٠

^٢ المحاسن والأضداد ص ٨٣

الحبِّ لها، وكانت له مثل ذلك، فينا هو ذات يومٍ ينظر وجهها إذ بكى، فنظرت إلى وجهه وبكت، فقالت له: ما الذي أبكاك؟ قال: والله، أتصدقيني إن صدقتك؟ قالت: نعم. قال لها: ذكرت حسنك وجمالك وشدة حبي، فقلت أموت فتزوّج غيري. فقالت: والله والله، أن ذاك الذي أبكاك؟ قال: نعم. قالت: وأنا ذكرت حسنك وجمالك وشدة حبي لك فقلت أموت فتزوّج امرأة غيري. قال الرجل: فإنّ النساء حرامٌ عليّ بعدك. فلبثا ما شاء الله.

ثم إنَّ الرجل توفي فجزعت عليه جزعاً شديداً فخاف أهلها على عقلها أن يذهل، فأجمع رأيهم على أن يزوّجوها، وهي كارهة، لعلها تتسلّى عنه. فلمّا كان في الليلة التي تهدي فيها إلى بيت زوجها، وقد نام أهل البيت، والماشطة تهيّء من شعرها، إذ نامت نومةً يسيرةً فرأت زوجها الأوّل داخلًا عليها من الباب وهو يقول: خنت يا فلانة عهدي، والله لا هנית العيش بعدي فانتبهت مرعوبةً، وخرجت هاربةً على وجهها، وطلبها أخلها فلم يقعوا لها على خبر.^١

قال إسحق خرجت امرأةً من قريش من بني زهرة إلى المدينة تقضي حقّاً لبعض القرشيين. وكانت ظريفةً جميلةً، فرآها من بني أمية رجلٌ فأعجبته، وتأملها فأخذت بقلبه، وسأل عنها فقليل له: هذه حميدة بنت عمر بن عبد الله بن حمزة. ووصفت له بما زاد فيها كلفه، فخطبها إلى أهلها فزوّجوه إياها على كرهٍ منها،

وأهديت إليه فرأت من كرمه وأدبه وحسن عشرته ما وجدت به، فلم تقم عنده إلا قليلاً حتّى أخرج أهل المدينة بني أميّة إلى الشّام، فنزل بها أمرٌ ما ابتليت بمثله، فاشتدّ بكاؤها على زوجها وبكاؤه عليها، وخيرت بين أن تجمع معه مفارقة الأهل والولد والأقارب والوطن أو تتخلّف عنه مع ما تجد به، فلم تجد أخفّ عندها من الخروج معه مختارة له على الدنيا وما فيها. فلمّا صارت بالشّام صارت تبكي ليلها ونهارها ولا تتهنّأ طعاماً ولا شراباً شوقاً إلى أهلها ووطنها، فخرجت يوماً بدمشق مع نسوة تقضي حقّاً لبعض القرشيين فمرّت بفتى جالسٍ على باب منزله، وهو يتمثل بهذه الأبيات:

ألا ليت شعري، هل تغير بعدنا ... صحنون المصلّى، أم كعهدي القرائن؟

وهل أدور حول البلاط عوامراً ... من الحيّ، أم هل بالمدينة ساكن؟

إذا لمعت نحو الحجاز سحابةً، ... دعا الشّوق مني برقها المتيامن

وما أشخصتنا رغبة عن بلادنا، ... ولكنّه ما قدّر الله كائن.

فلما سمعت المرأة ذكر بلدها وعرفت المواضع، تنفّست نفساً صدّع فؤادها

فوقعت ميتةً. فحملت إلى أهلها وجاء زوجها، وقد عرف الخبر، فانكبّ عليها

فوقع عنها ميتةً. فغسّلا جميعاً وكفّنا ودفنا في قبرٍ واحد^١.

^١ الأغاني ٣٦/١ ، أخبار النساء ص ١٣٢

وكانت خولة بنت منظور بن زياد الفزاري عند الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، وكانت أختها عند عبد الله بن الزبير، وهي أحسن الناس ثغراً، وأتمهم جمالاً. فلما رأى ذلك عبد الملك بن مروان قتل عبد الله بن الزبير زوجها، ثم خطبها، فكرهت أن تتزوجوه وهو قاتل زوجها، فأخذت فهرأ وكسرت به أسنانها. وجاء رسول عبد الملك فخطبها، فأذنت له ليراه، فأدّى إليها رسالته ورأى ما بها، فقالت: ما لي عن أمير المؤمنين رغبة، ولكنني كما ترى، فإن أحبني فأنا بين يديه، فأثاء الرسول فأعلمه بذلك، فقال: أنا، والله، إنما أردتها على حسن ثغرها الذي بلغني، وأما الآن فلا حاجة لي فيها.^١

وممن يضرب به المثل في الوفاء جماعة بنت عوف بن محلم الشيباني وذلك أن عمرو بن عبد الملك طلب مروان القرط وهو مروان بن زنباع العبسي فخرج هارباً حتى هجم على أبيات بني شيبان، فنظر إلى أعظمها بيتاً ببصره فإذا هو بيت جماعة بنت عوف فألقى نفسه بين يديها فاستجارها فأجارته. ولحقته خيل عمرو فبعثت إلى أبيها فعرفت أنه أجارته فمنعهم عوف عنه وأنصرف أصحاب عمرو. فأرسل عمرو إلى عوف قد آليت ألا أقطع طلبتي إلا أن يضع يده في يدي. فقال عوف: والله ما يكون ذلك أبداً لكن يدي بين يديك ويده. قال، فرضي عمرو

بذلك. فوضع مروان يده في يد عوف ووضع عوف يده في يد عمرو. فقال عمرو:
لا حرّ بوادي عوف. فذهبت مثلاً.^١

وحكى عصام المرّي، عن أبيه، قال: بعثنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في سرية قبل نجد، وقال: إن سمعتم مؤذناً، أو رأيتم مسجداً فلا تقتلن أحداً. فبينما نحن نسير إذ لحقنا رجلٌ معه طعائن يسوقها أمامه، فأخذناه، فقلنا له: أسلم. قال: وما الإسلام؟ فعزّمنّا عليه، قال: رأيتم إن لم أسلم ما أنتم صانعون بي؟ قلنا: نقتلك. قال: فهل أنتم تاركي حتى أوصي من في هذا اليهودج بكلماتٍ. قلنا: نعم. فدنا من اليهودج وفيه ظعينة فقال: أسلمي جيش قبل انقطاع العيش. فقالت: أسلم عشرين أو تسعيناً وتراً، أو ثانياً تتراً. قال، ثم جاء فمدّ عنقه. قال: شأنكم اصنعوا ما أنتم صانعون. فضربنا عنقه ولقد رأيت تلك الظعينة نزلت من هودجها وألقت نفسها عليه فما زالت تقبله وتبكي حتى هدأت فحرّكناها فإذا هي ميتة.^٢

^١ أخبار النساء ص ١٣٣ وقوله: لا حر بوادي عوف: مثل يضرب للعزير الذي بذل له الأعداء. (مجمع الأمثال

٢/٢٣٦، فصل المقال ص ١١٥، جمهرة الأمثال ١/٢ (٤٠١).

^٢ أخبار النساء ص ١٣٤

العتبي قال: كان خالد بن عبد الله القسري ذات ليلة مع فقهاء من أهل الكوفة فقال بعضهم: حدّثونا حديثاً لبعض العشاق. قال أحدهم: أصلح الله الأمير، ذكر هشام بن عبد الملك غدر النساء وسرعة رجوعهنّ. فقال له بعض جلسائه: أنا أحدثك، يا أمير المؤمنين: بلغني عن امرأة من يشكر يقال لها أمّ عقبة بنت عمرو بن الأعران، وإنّها كانت عند ابن عمّ لها يقال له غسان، وكان شديد المحبة لها، والوجد بها، وكانت له كذلك. فأقام بها على هذا الحال ما شاء الله، لا يزيد كلّ واحد منهما بصاحبه إلاّ اعتباطاً.

فلما حضرت غسان الوفاة قال لها: يا أمّ عقبة اسمعي ما أقول، وأجيبي عن نفسك بحقّ. فقالت له: والله لا أجبتك بكذبٍ، ولا أجعله آخر حظّك معي. فقال: إنّي رجوت أن تحفظي العهد، وأن تكوني لي إن متّ عند الرّجاء. أنا والله واثق بك، غير إنّي بسوء الظّنّ أخاف غدر النساء. ثمّ اعتقل لسانه فلم ينطق حتّى مات. فلم تمكث معه إلاّ قليلاً حتّى خطبت من كلّ مكانٍ، ورغب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها من العقل والجمال والمال والعفاف والحسب. فقالت مجيبةً له:

سأحفظ غساناً، على بعد داره، ... وأرعاه حتّى نلتقي يوم نحشر.
وإنّي لفي شغلٍ عن الناس كلّهم، ... فكفّوا، فما مثلي من الناس يغدر.
سأبكي عليه، ما حييت، بدمعةٍ ... تحول على الخدين منّي فتكثر

فيئس النَّاس منها حينًا. فلمّا طالت بها الأيام نسيت عهده، وقالت: من قد مات فقد فات. وأجابت بعض خطّابها فتزوَّجها المقدام بن حابس، وقد كان بها معجبًا. فلمّا كانت الليلة التي أراد بها الدّخول، أتاها في منامها زوجها الأوّل فقال لها:

غدرت، ولم ترعي لبعلك حرمةً، ... ولم تعرفي حقًّا، ولم ترعي لي عهدا

غدرت به لمّا ثوى في ضريحه، ... كذلك ينسى كلّ من سكن اللحد

فانتبهت مرتاعةً مستحييةً منه كأنه يراها أو تراه كأنه في جانب البيت. فأنكر حالها من حضرها، وقلن لها: ما لك؟ وما بالك؟ قالت: ما ترك لي غسّانٌ في الحياة إربًا، أتاني السّاعة فأنشدني هذه الأبيات. ثمّ أنشدتها بدمعٍ غزيرٍ، وانتحابٍ شديدٍ من قلبٍ جريحٍ موجعٍ. فلمّا سمعن ذلك منها أخذن بها في حديثٍ آخر لتنسى ما هي فيه، فتغفّلتهنّ ثمّ قامت كأنّها تقضي حاجةً فأبطأت عليهنّ. فقمّن في طلبها، فوجدنها قد جعلت السّوط في حلقها وربطته إلى عمود البيت وجذبت نفسها حتّى ماتت. فلمّا بلغ ذلك زوجها المقدام، حسن عزاؤه عنها، وقال: هكذا فليكن النّساء في الوفاء، قلّ من يحفظ ميتًا، إنّما هي قلائلٌ حتّى ينسى وعنه يتسلّى.^١

استعدى آل بئينة مروان بن الحكم على جميل بن معمر، فهرب حتى أتى رجلاً شريفاً من بني عذرة في أقصى بلادهم وله بناتٌ سبعٌ كأنهنَّ البدور جمالاً. فقال الشيخُ لبناته: تحلّين بأجود حليّكن، والبسن فاخر ثيابكن، ثمّ تعرضن لجميل. فمن اختار منكنّ زوجته إيّاها. ففعلن ذلك مراراً وجعلن يعارضنه: فلم يلتفت إليهنّ. وأنشأ يقول:

حلفت لكي تعلمن أنّي صادقٌ.... وللصدق في خير الأمور وأنجح
لتكليم يومٍ من بئينة واحد... ورؤيتها عندي، الذّ وأملح
من الدهر أن أخلو بكنّ فإنّما... أعالج قلباً طامحاً حيث يطمح
قال أبوهمّ: دعن هذا، فوالله لا أفلح أبداً.^١

كانت أمّ هاني بنت أبي طالب تحت زوجها هبيرة بن أبي ليث المخزومي، فهرب يوم فتح مكّة إلى اليمن فمات كافراً. فخطب رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، أمّ هاني فقالت: والله لقد كنت أحبّك في الجاهليّة فكيف في الإسلام؟ ولكتّني امرأةٌ مصيبةٌ وأكره أن يؤذك. فقال النّبّي، صلّى الله عليه وسلّم: "نساء

^١ المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافعي المعاني بن زكريا ص ١٦١ ط دار الكتب العلمية

قریش خیر نساء رکن المطایا، أحناهن علی ولید صغیر، وأرغاهن، علی زوج ذی ید. ١

أبو بکر الأنباری، عن أبي الیسر قال: دخلت منزل نخاسٍ لشراء جاریة، فسمعت فی بیت یأزاء البیت جاریةً تقول:

وکنّا کزوج من قطا فی مفازة ... لدی خفض عیشٍ معجبٍ مونقٍ رغد
أصاهما ریب الزمان فأفردا ... ولم أر شیئاً قطّ أوحش من فرد
فقلت للنخاس: أعرض علیّ هذه المنشدة. فقال إنّها حزینة. قلت: ولم ذلک؟
قال: اشتريتها من میراثٍ، فهي باکیةٌ علی مولاها. ثمّ لم ألبث أن أنشدت:
وکنّا کغصنی بانهٍ وسط دوحه ... نشم جنا الجنّات فی عیشه رغد
فأفرد هذا الغصن من ذاک قاطعٌ ... فیا فردةً باتت تحنّ إلی فرد
قال أبو السّمراء: فکتبت إلی عبد الله بن طاهر بخبرها. فکتب إلیّ: أن ألق
علیها هذا البیت، فإن أجازته فاشتراها ولو كانت بخراج خراسان. والبیت:
قربٌ صدّ، بعيدٌ وصل، ... جعلت منه لی ملاذا
فقال:

فعاتبوه، فزاد شوقاً ... فمات عشقاً، فكان ماذا؟

قال أبو السمرء: فاشتريتها بألف دينارٍ وحملتها إليه. فماتت في الطريق، فكانت إحدى الحسرات.^١

قال الأصمعي: خرج سليمان بن عبد الملك ومعه سليمان بن المهلب بن أبي صفرة من دمشق متتزيهين، فمرا بالجبانة، وإذا امرأة جالسة على قبر تبكي، فهبت الريح، فرفعت البرقع عن وجهها، فكأنها غمامة جلّت شمساً، فوقفنا متعجبين ننظر إليها، فقال لها ابن المهلب: يا أمة الله، هل لك في أمير المؤمنين بعلاً؟ فنظرت إليهما، ثم نظرت إلى القبر، وقالت:

فإن تسألاني عن هواي، فإنه ... بملحد هذا القبر، يا فتیان
وإنّي لأتسحّيه والترّب بيننا، ... كما كنت أستحييه وهو يراني

فانصرفنا ونحن متعجبون.^٢

قال الأصمعي: رأيت بالبادية أعرابية لا تتكلم، فقلت: أخرساء هي؟ فقليل لي: لا، ولكنها كان زوجها معجباً بنغمتها فتوفّي، فألت أن لا تتكلم بعده أبداً.^٣

قال الفرزدق أبقى لرجلٍ من بني نهشل، يقال له حصن، غلام. فخرجت في طلبه أريد اليمامة. فلمّا صرت في ماءٍ لبني حنيفة ارتفعت لي سحابة، فرعدت

^١ بدائع البدائيه جمال الدين الأزدي ص ٤٩ ط مصر سنة ١٨٦١ م ، أخبار النساء ص ١٣٨

^٢ ثمرات الأوراق ٢/٢٥٦ ، التذكرة الحمدونية ٢٩/٣

^٣ أخبار النساء ص ١٣٩

وبرقت وأرخت عزاليها، فعدلت إلى بعض ديارهم وسألت القرا. فأجابوا، ودخلت الدار، وأنخت ناقتي، وجلست. فإذا جارية كأنها طلعة قمر، فقالت: ممّن الرّجل؟ قلت من بني حنظلة. قالت: من أيّ حنظلة؟ قلت: من بني نهشل. قالت: فأنت من الذين يقول فيهم الفرزدق:

إنّ الذي سمك السّماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعزّ وأطول
بيتا زرارةٍ محتبٍ بفنائهِ ... ومجاشعٌ وأبو الفوارس نهشل

فقلت: نعم. فتبسّمت، ثمّ قالت: فإنّ جريراً هدم قوله، حيث يقول:

أخزي الذي سمك السّماء مجاشعاً ... وأحلّ بيتك بالحضيض الأسفل

قال: فأعجبني ما رأيت من جمالها وفصاحتها، ثمّ قالت لي: أين تؤمّ؟ قلت: اليمامة. فتنفّست نفساً وصل إليّ حرّة، فقلت: أذات خدرٍ، أم ذات بعلٍ؟ فبكت. فقلت: ما أجبّني عمّا سألتك. قال فلمّا فهمت قولِي ولم تكن أوّلاً فهمته من شدّة استغراقها، فلمّا كان بعد ساعةٍ أنشأت تقول:

يخيّل لي، أبا عمرو بن كعب، ... بأنّك قد حملت على سرير

فإن يك هكذا، يا عمرو، إنّي ... مبكّرةٌ عليك إلى القبور

ثمّ شهقت شهقةً فماتت. فقلت لهم: من هذه؟ قالوا: عقيلة بنت الضّحّاك بن النّعمان بن المنذر. قلت: فمن عمرو؟ قالوا: ابن عمّها، خطبها ولم يدخل بها.

فارتحلت من عندهم فدخلت اليمامة، فسألت عن عمرو فإذا به قد دفن في ذلك الوقت من اليوم.^١

يروى عن سماك بن حرب: أن زيد بن حارثة قال: يا رسول الله، انطلق بنا إلى فلانة نخطبها عليك أو عليّ إن لم تعجبك: فأتيناها فذكر لها زيد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقالت له: يا رسول الله، إنني عاهدت زوجي ألا أتزوج بعده أبداً، وأعطاني مثل ذلك. فقال لها رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "إن كان ذلك في الإسلام ففي له، وإن كان ذلك في الجاهلية فليس بشيء".^٢

قال الأصمعي خرجت إلى مقابر البصرة، فإذا أنا بامرأة على قبر، من أجمل النساء، وهي تندب صاحبه وتقول:

هل أخبر القبر سائليه	أم قرّ عيننا بزائريه
أم هل تراه أحاط علماً	بالجسد المستكين فيه
يا جبلاً كان ذا امتناعٍ	وطوداً عدلاً مليه
يا نخلةً طلعتها نضيد	يقرب من كف مجتنيه
يا موت ماذا أردت مني	حققت ما كنت أتقيه
دهرٌ رمانى بفقدٍ إلي	أذمّ دهري وأشكيه

^١ المجلس الصالح ص ٨٧ ، مصارع العشاق ١/ ١٢٣

^٢ أخبار النساء ص ١٤٠

أَمَّنْكَ اللهُ كُلَّ خَوْفٍ وَكُلَّ مَا كُنْتَ تَتَّقِيهِ

أَسْكَنْكَ اللهُ فِي جَنَّاتٍ ... تَكُونُ أَمْنًا لِسَاكِنِيهِ

قال، فقلت لها: يا أمة الله، ما هذا منك؟ قالت: لو أعلمك مكانك ما أنشدت حرفاً، هذا زوجي وسروري وأنسي، والله لا زلت هكذا أبداً أو ألحق به. قلت لها: أعيدي عليّ الشعر. فقالت: هذا من ذاك. فقلت خذي إليك. وأنشدتها الأبيات، فقالت فإن يكن في الدنيا الأصمعي فأنت هو.^١

وكان لأشجع بن عمرو السلمي جارية، يقال لها ريم، وكان يجدها وجداً شديداً، وكانت تحلف له أنّها إن بقيت بعده لم يحكم عليها رجل أبداً. فقال يخاطبها:

إذا غمضت فوقي جفون حفيرة ... من الأرض فابكيني بما كنت أصنع

تعزيك عني بعد ذلك سلوة ... وإن ليس فيمن وارت الأرض مطمع

فأجابته ريم تقول:

ذكرت فراقاً والفراق يصدّع، ... وأيّ حياة بعد موتك تنفع.

إذا الزمن الغدار فرق بيننا، ... فمالي في طيب من العيش مطمع.

فلو أبصرت عيناك عيني أبصرت، ... شأيب جدر غيثها ليس تقشع

وقال فيها أيضاً:

وليس لإخوان النساء تطاول، ... ولكنّ إخوان الرجال يطول.
فلا تبخلي بالدمع عني فإنّ من، ... يضمن بدمع، عن هوى، لبخيل.
فما لي إلى ردّ الشّبية حيلة، ... ولا لي إلى دفع المنون سبيل.
وإنّ لداتي قد مضوا لسبيلهم، ... وإنّ بقائي بعدهم لقليل.

فأجابه ريم:

بكى من صروفٍ خطبهنّ جليل ... ومن ذاب به عمر الحياة يطول؟
ومن ذا الذي ينعي على حدث الرّدى، ... وللموت في أثر النفوس رسول.
وكّل جليل سوف يلقي حمامه، ... وكّل نعيم دائم سيّـزول.
لي الويل، إن عمّرت بعدك ساعة، ... وإنّ كثير الويل لي لقليل.
وتزعم أنّي لا أجود بعبرة، ... إذا نجمه قد حان منه أفول.
ومن ذا الذي أبكي له، إن فقدته، ... سواك، ومن دمعي عليه يسيل.
فلا وقيت ريم، إذاً، ما تخافه ... إذا ناب للزّمان جليل.
ولا لقيت يوم القيامة ربّها ... وميزانها بالصّالحات ثقل.
إذا ماسخا قلب امرئ بمودّة، فقلبي بودّ عن سواك بخيل.

ولمّا مات أشجع، آلت على نفسها أن لا تأكل طعاماً، ولا تذوق شراباً.
فعاشت بعده أيّاماً، ثمّ توفّيت، فدفنت إلى جانبه.^١

^١ أخبار النساء ص ١٤٣

باب ما جاء في غدر النّساء

قال عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه: استعينوا بالله من شرار النّساء وكونوا من خيارهنّ على حذر.^١

في حكمة داود عليه السلام؛ وجدت من الرجال واحدا في ألف، ولم أجد واحدة في النّساء جميعا.^٢

وقال الهيثم بن عدي: غزا الغسانيّ الحارث بن عمرو أكل المرار الكندي، فلم يصبه في منزله، فأخذ ما وجد له واستاق امرأته؛ فلما أصابها أعجبت به، فقالت له: انج، فوالله لكأنّي أنظر إليه يتبعك فاغرا فاه كأنه بغير أكل مرار! وبلغ الحارث، فأقبل يتبعه حتّى لحقه فقتله، وأخذ ما كان معه وأخذ امرأته، فقال لها: هل أصابك؟ قالت: نعم والله ما اشمّلت النّساء على مثله قط! فأمر بها فأوقفت بين فرسين، ثم استحضرهما حتّى تقطعت. ثم قال:

كلّ أنثى وإن بدا لك منها ... آية الودّ حبّها خيشعور

إن من غرّه النّساء بودّ ... بعد هند لجاهل مغرور^٣

^١ أخبار النّساء ص ١٤٤ ، وعند الثعالبي في التمثيل والمحاضرة ص ١٥ منسوباً إلى المسيح عليه السلام.

^٢ العقد الفريد ١٣٧/٧

^٣ العقد الفريد ٣٥٤/٣

وقالت الحكماء: لا تثق بامرأة، ولا تغترّ بمال وإن كثر.

وقالوا: النساء حبائل الشيطان.

وقال الشاعر:

تمتّع بها ما ساعفتك، ولا تكن ... جزوعاً إذا بانت، فسوف تبين
وصنّها وإن كانت تقي لك، إنها ... على مدد الأيام سوف تخون
وإن هي أعطتك اللبان فإنها ... لآخر من طلائها ستلين
وإن حلفت لا ينقض النأي عهداً ... فليس لمخضوب البنان يمين
وإن أسبلت يوم الفاق دموعها ... فليس لعمر الله ذاك يقين^١
وقالت الحكماء: لم تنه امرأة قط عن شيء إلا فعلته.

وقال طفيل الغنوي:

إنّ النساء متى ينهين عن خلق ... فإنه واقع لا بدّ مفعول^٢
كان لكسرى أبرويز خال يقال له «بسطام»، فخاف من كسرى، وجمع جمعاً
كثيراً، وواقع أبرويز. فلما أعت أبرويز الحيلة فيه، دعا بكردي، أخي بهرام جور،
(ويقال أن كردياً كان غلاماً له، رباه، وبلغ منه مبلغ الرجال، وكان من خاصته،

^١ العقد الفريد ٧/١٣٨

^٢ عيون الأخبار ٤/١١١

والناصحين له) ، فقال له: «قد ترى ما نزل بنا من هذا العدو بسطام، وقد رأيت رأياً، إن طابقتني عليه، رجوت الظفر». قال كردي: «وما ذاك، أيها الملك؟ أخبرني، فما شيء يزيدك الله به عزّ، ويزيد أعداءك به ذلاً، إلا بادرت إليه بنصح وصدق، لعظيم حقك، ووجوب طاعتك» .

قال له كسرى: «قد عرفت حال كردية، أختك، امرأة بسطام، وجراءة قلبها، وبسطام يأوي إليها كل ليلة، إذا انصرف عن الحرب، وأنا جاعل لها عهد الله، وميثاقه، وذمة أنبيائه، إن هي أراحتني من بسطام، واحتالت لي في قتله، أن أتزوجها، وأجعلها سيدة نسائي، وأبلغ في إكرامها والسمو بها، أفضل ما بلغ ملك بامرأته» .

قال كردي: «أيها الملك! ما أشك في قدرتها عليه، فاكتب إليها بخطك بما رأيت لأوجهه في الكتاب إليها، مع امرأتي «أرجية» ، فإن لها عقلاً ورفقاً وبصيرة» . فكتب كسرى بخطه: «بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب لكردية بنت بهرام جستاسب، كتبه لها كسرى أبرويز بن هرمز، إن لك عندي عهد الله، وذمته، وذمة أنبيائه ورسله، إن أنت قتلت بسطام، وأراحتني منه، أن أتزوج بك، وأجعلك سيدة نسائي، وأبلغ من كرامتك ما لا يبلغ ملك من الملوك لأحد، وأشهد الله على ذلك، وكفى بالله شهيداً» .

وكتب كسرى بخطه، وختمه بخاتمه يوم كذا من شهر كذا. فسارت «أرجية»، حتى دخلت عسكر بسطام كهيئة الزائرة لكردية بالنظر إليها، وكان بينهما قرابة، فلما جلست وسكنت، دفعت إليها كتاب كسرى، وقالت لها:

«يا ابنة العم، أجيبي الملك إلى ما سألك، واغنمي بذلك الرجوع إلى وطنك» . فرغبت لشدة شوقها إلى أهلها، فأجابتها إلى ذلك.

وانصرفت أرجية إلى عسكر كسرى، وعرفت زوجها ما كان بينها وبين كربية، فمضى كردي إلى كسرى فأعلمه.

ثم أن بسطام دخل على كربية، فأتته بعشاء، فتناول منه، ثم أتته بشراب فسقته، وجعلت تحدثه، وتظهر له المحبة، حيث مضى ثلث الليل؛ فنام بسطام، فلما استثقل نومًا، قامت إليه كربية بسيفها، فوضعتة على ثندوءته، ثم اتكأت فأخرجته من ظهره فمات؛ وعمدت من ساعتها إلى دوابها، فحملت حشمها وأنقالها على البغال، وخرجت نحو عسكر كسرى؛ وقد كانت وجهت مع «أرجية» إلى أخيها أن يجلس لها على الطريق، فلما وافته، سار معها حتى أدخلها على كسرى، ففرح بذلك فرحًا شديدًا.

فلما أصبح أصحاب بسطام، ورأوه قتيلاً، ولوا هارين على وجوههم؛ فانصرف كسرى إلى المدائن، فاتخذ لكردية تاجًا مكللاً بالدرر وصنوف الجواهر، وأعد لها وليمة عظيمة دعا فيها جنوده، فطعموا وشربوا، ثم دعا كرديًا أخاها،

فزوجها إياها، ومهرها، وأعطاهَا خاتماً، فصَّه من الكبريت الأحمر، يضيء في الليلة الظلماء كما يضيء السراج.

فلما دخل بها كسرى، ونظر إلى جمالها وعقلها، سر بها، وأعطاهَا الأموال، وأقطعها الضياع، وأكرم أخاها كردياً، وولاه أرض فارس، وبلغ بها من رفعه إياها، وتشريفه لها، ما لم تبلغه امرأة قبلها ولا بعدها.

ثم إن كردية قالت لكسرى: «يا سيدي، أخرج بنا إلى الميدان لألعب، بين يديك، بالكرة والصولجان». فخرج معها إلى الميدان، وخرجت امرأته شیرين، وخواص نسائه، ودعا بخيل، فأسرجت، وركبت وركب هو، وجعلت تلاعبه بالصوالج، وتناولت السيف، وركضت في الميدان، ولعبت بالسيف لعباً معجباً، ثم أخذت الرمح فلعبت به. فقالت شیرين: «أيها الملك! ما يؤمنك من هذه الشيطانة؟ قال: «هيهات! إنها أعرف بحقنا، وأشد حباً لنا من أن نخافها على أنفسنا».

فلما نزلت، قال كسرى: «لنا في كل ربع من أرباع مملكتنا قائد في اثني ألف رجل؛ وفي قصري اثنا عشرة ألف امرأة، وقد جعلتك قائداً عليهن». قالت: «يا سيدي، ما للنساء والفروسية؛ وإنما علينا أن نتزين لك، ونتطيب ونسرك بأنفسنا؛ وأردت، بما كان مني، سرورك وتسليه همومك». فأمر كسرى بحمل طعامه وشرابه إلى منزلها، وبقي عندها أسبوعاً، لم يخرج إلى الناس، ولم يأذن لأحد

بالدخول عليه، ثم خرج من عندها إلى منزل شيرين، فأتاه صياد بسمكة عظيمة، فأعجب بها، وأمر له بأربعة آلاف درهم. فقالت له شيرين: «أمرت لصياد بأربعة آلاف درهم، فإن أمرت بها لرجل من الوجوه»، قال: «إنما أمر لي بمثل ما أمر للصياد».

فقال: «كيف أصنع، وقد أمرت له؟» قالت: «إذا أتاك، فقل له: أخبرني عن السمكة، أذكر هي أم أنثى؟ فإن قال: «أنثى»، فقل: لا تقع عيني عليك حتى تأتيني بالذكر. وإن قال: «ذكر»، فقل مثل ذلك».

فلما غدا الصياد على الملك، قال له: «أخبرني عن السمكة، أذكر هي أم أنثى؟» قال: «بل أنثى». قال: فأتني بذكرها» فقال: عمر الله الملك؟ إنها كانت بكرًا لم تتزوج بعد». قال الملك: «زه، زه» وأمر بأربعة آلاف درهم؛ وأمر أن يكتب في يكتب في ديوان الحكمة: «إن الغدر ومطاوعة النساء يورثان الغرم».

وقال: وكان الموبدان إذا دخل على كسرى، قال: «عشت، أيها الملك، بسعادة الجد، وورقت على أعدائك الظفر، وأعطيت الخير، وجنبت طاعة النساء». فغاظ ذلك شيرين، وكانت أجمل نساء عصرها، وأتمهن عقلاً، فقالت لكسرى: «أيها الملك! إن هذا الموبدان قد طعن في السن، ولست مستغنياً عن رأيه ومشورته. وقد رأيت لحاجتك إليه أن أهب له «مسكدانة»، جاريتي؛ وقد عرفت عقلها وجمالها، فإن رأيت أن تسأله قبولها، فافعل».

فكلم كسرى الموبدان في ذلك، فهش للجارية لمعرفته بجمالها وفضلها، فقال: «قد قبلتها أيها الملك، لا يثارها إياي بأفضل جواريتها» .

فقال شيرين لمسكدانة: «إني أريد أن تأتي هذا الشيخ، فتبدي له محاسنك، وتجيدي خدمته، فإذا هش لمضاجعتك، فامتنعي عليه حتى' توكفيه وتركيبه، وتعلميني الوقت الذي يتهيأ لك ذلك حتى' لا يعود أن يزيد في تحية الملك: «ووقت طاعة النساء» فقالت مسكدانة: «أفعل يا سيدتي» .

ثم انطلقت إلى الشيخ، فصارت عنده في داره التي يحتلها من قصر الملك؛ فجعلت تخدمه، وتبره، وتظهر له الكرامة، وهي مع ذلك تبرز له محاسنها، وتشف له عن صدرها ونحرها، وتبدي له ساقها وفخذيها، فارتاح الموبدان إليها، وشرح صدره لمضاجعتها، فجعلت تمتنع عليه، فيزداد في ذلك حرصاً. فلما ألح عليها، قالت له: «أيها القاضي! ما أنا بمجيبتك إلى' ما سألت، حتى' أو كفك وأركبك؛ فإن أجبتني إلى' ذلك، صرت طوع يدك فيما تريد وتدعو إليه من مسرتك» .

فامتنع عليها أياماً، وبقيت تتزين له بزبتها، وتكشف له عن محاسنها، حتى' عيل صبره، فقال لها: «أفعلي ما أجبت» . فهيأت له بردعة صغيرة، وإكافاً صغيراً، وحزاماً وثفراً، وأقامته عرياناً على' أربع، ووضعت على' ظهره البردعة، والأكاف، وجعلت الثفر تحت خصيته، وهي قائمة، وركبته وهي تقول: «خر خر» .

وأرسلت إلى سيدتها شيرين تعلمها بذلك، فقالت شيرين للملك: «أصعد بنا إلى ظهر بيت الموبدان، للتنظر من الروزنة ما يكون بينه وبين الجارية». فصعدا. ونظرا، فإذا هي قد ركبت فوق الأكاف، فناداه كسرى:

«ويحك! أي شيء هذا؟» فرفع الموبدان رأسه، ونظر إلى الروزنة، ورأى الملك فقال: «هو ما كنت أقول لك في اجتناب طاعة النساء». فضحك كسرى وقال: «قبحك الله من شيخ، وقبح مستشيرك بعد هذا».^١

^١ المحاسن والأضداد ص ٢٣٥

حديث الزباء

واسمها هند، وملك الشام بعد عمها المنصور، وكان جذيمة الأبرش قتل عمها، فبعث إليها جذيمة يخطبها، فأظهرت البشر والسرور لرسوله، وكتبت إليه بالقدوم عليها لتزوجه نفسها، فاستشار نصحاءه، فقالوا: «أيها الملك، إن تزوجت بها، جمعت ملك الشام، وملك الجزيرة إلى ملكك». فاستخلف ابن أخيه عمرو بن عدي، وسار في ألف فارس من خاصته؛ فلما انتهى إلى مكان يسمى «بقة»، وهو حد مملكتها ومملكته، نزل في ذلك المكان، واستشار أصحابه أيضاً في المصير إليها بالانصراف، فزينوا له الإلمام بها وقالوا: «إنك، إن انصرفت من ههنا، أنزله الناس منك على جبين ووهن».

فدنا منه مولى يقال له قصير بن سعد، فقال له: «أيها الملك، لا تقبل مشورة هؤلاء؛ وانصرف إلى مملكتك حتى يتبين لك أمرها، فإنها امرأة موتورة، ومن شأن النساء الغدر».

فلم يحفل بقوله، ومضى حتى اقتحم مملكتها، فقال قصير: «ببقة صرم الأمر»، ثم أرسلها مثلاً. فلما بلغ المرأة قدومه عليها، أمرت جنودها، فاستقبلوا الملك؛ فقال قصير: «أيها الملك! إني رأيت جنودها لم يترجلوا لك، كما يترجل للملوك، ولست آمن عليك، فاركب «العصا»، وانج بنفسك» (والعصا كانت فرساً

لجذيمة، لا يشق غبارها)؛ فلم يعبأ جذيمة بقوله؛ وسار حتى دخل المدينة، وأمرت هند الزباء بأصحابه أن ينزلوا فأنزلوا، وأخذت منهم أسلحتهم ودوابهم؛ وأذنت لجذيمة، فدخل عليها، وهي في قصر لها، ولم يكن معها في قصرها إلا الجواري، فأومأت إليهن أن يأخذنه؛ واجتمعن عليه ليكتفنه، فامتنع عليهن، فلم يزلن يضربنه بالأعمدة حتى أثخنه وكتفنه. ثم دعت بنطع، فأجلسته فيه، وكشفت عن عورتها؛ فنظر جذيمة، فإذا لها شعرة وافية. فقالت: «كيف ترى عروسك؟

أشوار عروس أم ما ترى؟» «أرى بظرا ناتئا، ونبتاً فاشياً، ولا أعلم ما وراء ذلك»؟ قالت: «أما إنه ليس من عدم المواسي أو لقللة الأواسي، ولكنه شمةٌ من أناسي».

ثم أمرت به، فقطعت عروقه، فجعلت دماؤه تشخب في النطع، فقالت: «لا يحزنك ما ترى. فإنه دم هراقه أهله»، فأرسلتها مثلاً.

واحتال «قصير» للعصا حتى وصل إليها وركبها، ثم دفعها، فجعلت تهوي به كأنها الريح. وكان المكان الذي قصد فيه جذيمة مشرفاً على الطريق، فنظر جذيمة إليه وقد دفع الفرس، فقال: «لله حزم على رأس العصا»، فلم تزل دماؤه تشخب حت مات. ثم أمرت بأصحابه، فقتلوا بأجمعهم.

وكان عمرو بن عدي يركب كل يوم من الحيرة، فيأتي طريق الشام، يتجسس عن خبره وحاله، فلم يبلغه أحد خبره. فبينما هو ذات يوم في ذلك، إذ نظر إلى فرس مقبل على الطريق، فلما دنا منه، عرف الفرس، وقال:

«يا خير ما جاءت به العصا»، فذهبت مثلاً. فلما دنا منه قصير، قال له: «ما وراءك؟ قال: «قتل خالك وجنوده جميعاً، فاطلب بثأرك». قال:

«وكيف لي بها، وهي أمتع من عقاب الجو؟ فذهبت مثلاً. ثم إن قصيراً أمر بأنف نفسه فجذع، ثم ركب وسار نحو الزباء، فاستأذن عليها، فقبل لها: «إن مولى لجذيمة وقرهمانه وأكرم الناس عليه قد أتاك مجدوعاً».

فأذنت له، فدخل عليها.

قالت: «من صنع بك هذا؟ قال: «أيتها الملكة! هذا فعل عمرو بن عدي، اتهمني وتجنى علي الذنوب، وزعم إنني أشرت على خاله بالمصير إليك، حتى فعل بي ما ترين، ولم آمنه أن يقتلني، فخرجت هارباً إليك، وقد أتيتك لأكون معك، وفي خدمتك؛ ولي جداء وعندي غناء»

قالت: «نعم أقم، فعندي لك ما تحب»، وولته نفقتها، فخف لها، ورأت منه الرشاقة، فيما أسندته إليه، فأقام عندها حولاً، ثم قال لها:

«أيتها الملكة! إنه لي بالعراق مالاً كثيراً، فإذا أذنت لي في الخروج لحمله، فافعلي». فدفعت إليه مالاً كثيراً، وأمرته أن يشتري له ثياباً من الخز والوشي

ولآليء وياقوتاً ومسكاً وعنبراً والنجوجاً. فانطلق حتى أتى عمراً فأخبره، فأخذ منه ضعفي مالها، وانصرف نحوها، فاسترخصت ما جاء به، وردته الثانية والثالثة، فكان يأخذ في كل مرة مثل أضعاف مالها، فيشتري لها جميع ما تريد، فتسترخصه.

ووقع قصير بقلبها، فاستخلفته، ثم بعثته في الدفعة الرابعة بمال عظيم، وأمرته أن يشتري أثاثاً ومتاعاً وفرشاً وآنية، فانطلق إلى عمرو، فقال: «قد قضيت ما علي، وبقي ما عليك»، فقال: «وما الذي تريد؟» قال «أخرج معي في ألفي فارس من خدمك، وكونوا في أجواف الجواليق، على كل بعير رجلان». فانتخب عمرو ألفي فارس من أصحابه، فخرج، وخرجوا معه في الجواليق، كل رجل بسيف، وكان يسير النهار، فإذا أمسى الليل، فتح الجواليق ليخرجوا ويطعموا ويشربوا ويقضوا حوائجهم، حتى إذا كان بينه وبين مدينتها مقدار ميل، تقدم «قصير» حتى دخل عليها، وقال: «أيتها الملكة! اصعدي على القصر لتنظري ما أتيتك به»، فصعدت فنظرت إلى ثقل الأحمال على الجمال، فقالت:

ما للجمال مشيها ويئدا ... أجنلاً يحملن أم حديدا

أم صرطاناً بارداً شديدا

فأجابها قصير سراً:

«بل الرجال جثما قعودا»

فقال: «لما عليها من المتاع الثقيل النفيس». فأمرت بالأحمال، فأدخلت قصرها، وكان وقت المساء، فقالت: «إذا كان غداً نظرننا إلى ما أتينا به».

فلما جن عليهم الليل، فتحو الجواليق، وخرجوا، فقتلوا جميع من في القصر. وكان لها سربٌ قد أعدته للفرع والهرب، إن حل بها روع، تخرج إلى الصحراء؛ وقد كان قصير عرف ذلك المكان، ووصفه لعمر، فبادر عمرو إلى السرب، فاستقبلته الزباء، فolt هاربة نحو السرب، فاستقبلها بالسيف، فمصت فصها، وكان مسموماً، وقالت: «بيدي لا بيدك يا عمرو، ولا بيدي العبد»، فقال عمرو: «يده ويدي سواء، وفي كليهما شفاء»، وضربها بسيفه حتى قتلها؛ وأقبل قصير حتى وقف عليها، فجعل يدخل سيفه في فرجها ويقول:

ولو رأوني وسيفي يوم أدخله ... في جوف زباء ماتوا كلهم فرحاً

وغنم عمرو وأصحابه من مدينتها أموالاً جليدة، وانصرفوا إلى الحيرة، فكان الملك، بعد خاله جذيمة، وعمرو هذا هو جد النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي.^١

^١ المحاسن والأضداد ص ٢٤٠

وعن الهيثم بن عدي عن ابن عياش، قال: كان النساء يجلسن لخطابهن، فكانت امرأة من بني سلول تخطب، وكان عبد الله بن همام السلولي يخطبها؛ فإذا دخل عليها تقول له: فذاك أبي وأمي! وتقبل عليه تحدثه، وكان شاب من بني سلول يخطبها، فإذا دخل عليها الشاب وعندها عبد الله بن همام قالت للشاب قم إلى النار! وأقبلت بوجهها وحديثها على عبد الله؛ ثم إن الشاب تزوّجها، فلما بلغ ذلك عبد الله بن همام قال:

أودى بحبّ سليمي فاتك لقن ... كحّية برزت من بين أحجار
إذا رأيتني تفدّيني وتجعله ... في النار، يا ليتني المجعول في النار
وله فيها:

ماذا تظنّ سليمي إن ألمّ بها ... مرجّل الرأس ذو بردين مزّاح
حلو فكاهته، خزّ عمامته ... في كفّه من رقيّ الشيطان مفتاح!^١
قال عمرو المملك:

إنّ من غرّه النساء بودّ ... بعد هندٍ لجاهلٍ مغرور
حلوة العين واللسان وفيها ... كلّ شيءٍ يجنّ فيه الضمير

وقال طفيل الغنوي:

إِنَّ النِّسَاءَ لِأَشْجَارٍ تَبِينُ لَنَا ... مِنْهُنَّ مَرٌّ، وَبَعْضُ الْمَرِّ مَأْكُولٌ
إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يَنْهَيْنِ عَنْ خَلْقٍ ... فَإِنَّهُ وَاقِعٌ لَا بَدَّ مَفْعُولٌ^١

وقيل: إن عيسى عليه الصلاة والسلام لقي إبليس يسوق أربعة أحمرّة عليها
أحمال فسأله، فقال: أحمل تجارة وأطلب مشترين، فقال: ما أحدها؟ قال: الغرور.
قال:

من يشتريه؟ قال: السلاطين. قال: فما الثاني؟ قال:

الحسد. قال: فمن يشتريه؟ قال: العلماء، قال: فما الثالث؟ قال: الخيانة. قال:
فمن يشتريه؟ قال: التجار.

قال: فما الرابع؟ قال: الكيد. قال: فمن يشتريه؟ قال:

النساء.^٢

وقال حكيم: النساء شر كلهن وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن.

وقالت الحكماء: لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال، وإن كثر.

^١ أخبار النساء ص ١٤٤

^٢ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٦٤

وقال: النساء حباثل الشيطان.

قال الشاعر:

تمتّع بها ما ساعفتك ولا تكن ... جزوعا إذا بانت فسوف تبين
وخنها وإن كانت تفي لك إنها ... على قدم الأيام سوف تخون
وإن هي أعطتك الليان فإنها ... لغيرك من طلابها ستلين
وإن حلفت أن ليس تنقض عهدا ... فليس لمخضوب البنان يمين
وإن سكبت يوم الفراق دموعها ... فليس لعمر الله ذاك يقين^١

وقال ابن بشار:

رأيت مواعيد النساء كأنها ... سراب لمرتاد المناهل حافل
ومنتظر الموعود منهم كالذي ... يؤمل يوما أن تلين الجنادل^٢

قال بعض الحكماء: لم تنه عن شيء قط إلا فعلته.

وقال الغنوي:

إنّ النساء متى ينهين عن خلق ... فإنّه واقع لا بدّ مفعول^٣

^١ العقد الفريد ٧/ ١٣٧

^٢ ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ٥/ ٢٥١

^٣ العقد الفريد ٧/ ١٣٨

وقال النخعي: من اقتراب الساعة طاعة النساء، ويقال: من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه. وقال علي رضي الله تعالى عنه: إياك ومشاورة النساء، فإن رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن، اكفف أبصارهن بالحجاب، فإن شدة الحجاب خير لهن من الارتياب، وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن، فإن استطعت أن لا يعرفهن غيرك فافعل^١.

قال السمعاني:

لا تأمنن على النساء ولو أcha... ما في الرجال على النساء أمين
إنّ الأمين وإن تخفّظ جهده... لا بدّ أنّ بنظرة سيخون^٢
وقال علي رضي الله تعالى عنه: لا تطلعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن إلا لتدبير العيال، إن تركن وما يردن أوردن المهالك، وأفسدن الممالك ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن في البهتان ويتمادين في الطغيان^٣.
وقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: ذل من أسند أمره إلى امرأة. وقيل: إن صيادا أتى أبرويز بسمكة، فأعجبه حسننها وسمتها، فأمر له بأربعة آلاف درهم، فخطأته سيرين زوجته، فقال لها: ماذا أفعل؟ فقالت له: إذا جاءك فقل له أذكر كانت أم

^١ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٦٤

^٢ محاضرات الأدباء ١٢٤/٢

^٣ ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ٢٤٢/٥

أنثى؟ فإن قال لك ذكر، فاطلب منه الأنثى، وإن قال لك أنثى فاطلب منه الذكر، فلما أتاه سألته، فقال: كانت أنثى، فقال: اتتني بذكرها، فقال عمر الله الملك كانت بكرا لم تتزوج، فقال زه وأمر له بثمانية آلاف درهم، وقال: اكتبوا في الحكمة: الغدر ومطوعة النساء يؤديان إلى الغرم الثقيل.^١

وقال حكيم: اعص النساء وهواك وافعل ما شئت.

وقال عمر رضي الله تعالى عنه: أكثروا لهن من قول لا، فإن نعم تغريهن على المسألة، قال: أستعيذ بالله من شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر.^٢

^١ المستطرف في كل فن مستطرف ص ٤٦٥

^٢ اللطائف والظرائف الثعالبية ص ١٦٥ ط دار المناهل، بيروت

محاسن مكر النساء

ذكروا أن الحجاج بن يوسف أرق، ذات ليلة، فبعث إلى ابن القرية، فقال: أرق، فحدثني حديثاً يقصر على طول ليلي، ولكن من مكر النساء وفعالهن .

فقال: أصلح الله الأمير! ذكروا أن رجلاً يقال له عمرو بن عامر من أهل البصرة، كان معروفًا بالنسك والسخاء. وكانت له زوجة يقال لها جميلة، وله صديق من النساك. فاستودعه عمرو ألف دينار، وقال: إن حدثت بي حادثة، ورأيت أهلي محتاجين، فأعطهم هذا المال. فعاش ما عاش، ثم دعي فأجاب، فمكثت جميلة بعده حيناً، ثم ساءت حالها، وأمّرت خادمتها يوماً ببيع خاتمها لغداء يوم أو عشاء ليلة. فبينا الخادمة تعرض الخاتم على البيع، إذ لقيها الناسك صديق عمرو، فقال: فلانة؟ قالت: نعم. قال حاجتك؟ فأخبرته بسوء الحال، وما اضطرت إليه مولاتها من بيع خاتمها، فهملت عيناه دموعاً، ثم قال إن لعمر و قبلي ألف دينار، فأعلمي بذلك صاحبك. فأقبلت الجارية ضاحكة مستبشرة، وهي تقول: رزق حلال عاجل من كد مولاي الكريم الفاضل. فلما سمعت مولاتها ذلك، سألتها عن القصة، فأخبرتها، فخرت ساجدة، وحمدت ربها، وبعثت بالجارية إلى الناسك، فأقبل الناسك ومعه المال، فلما دخل الدار، كره أن يدفع

المال إلى أحد سواها؛ فخرجت، فلما نظر إلى جمالها وكمالها، أخذت مجامع قلبه، وفارقه النهي، وذهب عنه الحياء، وأنشأ يقول:

قد سلبت الجسم والقلب معاً ... وبريت العظم مما تلحظين

فارددي قلب عميدٍ واقبلي ... صلة الضعفين مما ترتجين

فأطرقت جميلة لقوله طويلاً، ثم قالت: ويحك، ألسنت المعروف بالنسك المنسوب إلى الورع؟ قال: بلى. ولكن نور وجهك سل جسمي، فتداركيني بكلمة تقيمين بها أودي. فهذا مقام اللائذ بك! قالت: أيها المرائي المخادع! أخرج عني مذموماً مدحوراً. فخرج عنها، وقد هام قلبه، وأضحت جميلة تعمل الحيلة في استخراج حقها، فأتت الملك ترفع إليه ظلامتها، فلم تصل إليه، فأنت الحاجب، فشكت إليه، فأعجب بها إعجاباً شديداً، وقالت: إن لوجهك صورة أدفعها عن هذا، ولا يجمل بمثلك الخصومة فهل لك في ضعفي مالك في ستر ورفق؟

فقالت: سوء لا مرأة حرة تميل إلى ريبة. فانصرفت إلى صاحب الشرطة، فأنهت ظلامتها إليه، فأعجب بها وقال: إن حجتك على الناسك لا تقبل إلا بشاهدين عدلين، وأنا مشتر خصومتك، إن أنت نزلت عند مسرتي. فانصرفت عنه إلى القاضي، فشكت إليه، فأخذت بقلبه، وكاد القاضي يجن إعجاباً بها، وقال: يا قرّة العين! إنه لا يزهد في أمثالك، فهل لك في مواصلي وغناء الدهر؟ فانصرفت، وباتت تحتال في استخراج حقها، فبعثت الجارية إلى نجار، فعمل لها تابوتاً بثلاثة

أبواب، كل منها مفرد؛ ثم بعثت الجارية إلى الحاجب أن يأتيها إذا أصبح، وإلى صاحب الشرطة أن يأتيها ضحوة، وإلى القاضي أن يأتيها إذا تعالى النهار، وإلى الناسك أن يأتيها إذا انتصف النهار.

فأتاها الحاجب، فأقبلت عليه تحدثه، فما فرغت من حديثها حتى قالت لها الجارية: صاحب الشرطة بالباب، فقالت للحاجب: ليس في البيت ملجأ إلا هذا التابوت، فأدخل أي بيت شئت منه. فدخل الحاجب بيتاً من التابوت فأقفلت عليه. ودخل صاحب الشرطة، فأقبلت جميلة عليه تضاحكه وتلاطفه، فما كان بأسرع من أن قالت الجارية: القاضي بالباب؛ فقال صاحب الشرطة: أين اختبئ؟ فقالت: لا ملجأ إلا هذا التابوت، وفيه بيتان، فادخل أيهما شئت، فدخل، فأقفلت عليه، فلما دخل القاضي، قالت: مرحباً وأهلاً، وأقبلت عليه بالترحيب والتلطيف. فبينما هي كذلك، إذ قالت الجارية: الناسك بالباب، فقال القاضي: ماذا ترين في رده؟ فقالت ما لي إلى رده سبيل. قال: فكيف الحيلة؟ قالت:

إني مدخلتك هذا التابوت، ومخاصمته، فاشهد لي بما تسمع، واحكم بيني وبينه بالحق. قال نعم، فدخل البيت الثالث، فأقفلت عليه.

ودخل الناسك، فقالت له: «مرحباً بالزائر الجاني، كيف بدا لك في زيارتنا؟» قال: «شوقاً إلى رؤيتك، وحيناً إلى قربك».

قالت: «فالمال، ما تقول فيه: أشهد الله على نفسك برده، اتبع رأيك.. قال:»
اللهم إنني أشهدك الله لجميلة عندي ألف دينار وديعة زوجها» .

فلما سمعت ذلك هتفت بجاريتهما، وخرجت مبادرة نحو باب الملك، فأهتت
ظلامتها إليه، فأرسل الملك إلى الحاجب، وصاحب الشرطة، والقاضي، فلم يقدر
على واحد منهم؛ فقعدها، وسألها البينة، فقالت: «يشهد تابوت عندي فضحك
الملك وقال: «يحتمل ذلك لجمالك» . فبعث بالعجلة فوضع التابوت فيها،
وحمل إلى بين يدي الملك، فقامت وضربت بيدها التابوت وقالت: «أعطي الله
عهداً لتنتظن بالحق، وتشهدن بما سمعت، أو لأضرب منك ناراً، فإذا ثلاثة أصوات
من جوف التابوت تشهد على إقرار الناسك لجميلة بألف دينار. فكبر ذلك على
الملك، فقالت جميلة: «لم أجد في المملكة قوماً أوفى ولا أقوم بالحق من هؤلاء
الثلاثة فأشهدتهم على غريمي» ، ثم فتحت التابوت وأخرجت ثلاثة نفر، وسألها
الملك عن قصتها فأخبرته، وأخذت حقها من الناسك، فقال الحجاج: «لله درها
ما أحسن ما احتالت لاستخراج حقها»^١

وكان يعقوب بن يحيى المدائني، ويحيى الكاتب، كاتب سهل بن رستم،
يتحدثان إلى مهدية، جارية سليمان بن الساحر، فقال يعقوب يوماً ليحيى: «أنا
أشتهي أن أرى بطن مهدية» ، فقال يحيى: «ما تجعل لي إن أنا احتلت لك بحيلة

^١ المحاسن والأضداد ص ٢٤٥

حتى تراه؟ قال: «ما شئت» قال: «برذونك هذا» قال: «نعم». قال: فتوثق منه، وأتى مهدية فقال لها: «كان لي برذون موافق فارهِ فنفق، وأنت لو شئت لحملتني على برذون فارهِ»، قالت: «أنا أفعل وأشتريه لك بما بلغ الثمن»، قال: «أنت قادرة عليه بغير الثمن»، قالت: «كيف ذلك؟» فأخبرها بالقصة فقالت: «قد حملك الله على البرذون، وأربحك النظر إلى بطن حسن، فإذا كان غداً فتعال أنت ويعقوب فاجلسا، فإن سليمان يعبث بوصيفته فلانة كثيراً، فإذا فعل ذلك وجئت أنا، فقل: «أنت يا مهدية لو علمت ما صنع فلان لقتلته»، قال: «نعم»، فلما جاءت مهدية، قال لها: «إن أمر سليمان مع وصيفته أشنع مما تقدرينه»، فوثبت مستشيطة غضبا وقالت: «مثلك يا ابن الساحر يفعل هذا مرة بعد أخرى»، وشقت جيها إلى أن جاوزت أسفل البطن وهي قائمة، فنظر إلى بطنها فتأملناها ساعة وهي تشتم ابن الساحر، فقام إليها يترضاها ويسكنها، ويعقوب يقول «وابرذونا» فأخذه منه يحيى^١.

وعن المساور قال: كان عندنا بالأهواز رجل متأهل، وكانت له أرض بالبصرة، وكان في السنة يأتيها مرة أو مرتين، فتزوج بها امرأة ليس لها إلا عم في الدار؛ وكان يكثر الانحدار بعد ذلك إلى البصرة، فأنكرت الأهوازية حاله فدست من يعرف خبره، ثم احتالت وبعثت من أورد خطأ لعم المرأة البصرية، وسألت

^١ المحاسن والأضداد ص ٢٤٦

من كتب كتاباً من عم البصرية إلى زوجها على خطه بأن ابنة أخيه توفيت، ويسأله القدوم لأخذ ما خلفت، ودست الكتاب مع إنسان شبيه بالملاح. فلما أتى بالكتاب خرج إليه فدفع الكتاب، ولم يشك أن امرأته البصرية ماتت، فقال لامرأته: «اجعلي لي سفرة»، قالت: «ولم»؟ قال: «أريد الخروج إلى البصرة»، قالت: «وكم هذه البصرة؟ قد رابني أمرك، وما أشك أن هنالك لك امرأة»، فأذكر ذلك، فقالت: «إن كنت صادقاً فاحلف بطلاق كل امرأة لك غيري»، فقال في نفسه: «تلك قد ماتت، وليس علي أن أحلف بطلاقها فأرضي هذه»، فحلف لها بطلاق كل امرأة له سوى الأهوازية، فقالت الأهوازية: «يا جارية هات السفرة، فقد أغناه الله عن الخروج»، قال: «وما ذلك»؟ قالت: «قد طلقت الفاسقة»، وقصت عليه القصة، فعرف مكرها، وأقام.^١

^١ نثر الدر في المحاضرات ٧٧/٤

مساويء مكر النساء

ذكروا أن لقمان بن عاد صاحب لبد، خرج يَجول في قبائل العرب، فنزل بحي من العماليق، فبينا هو كذلك إذ ظعن القوم، فظعن معهم، فسمع بامرأة تقول لزوجها: «فلان لو حملت سفطي هذا حتى تجاوز به الثنية، فإن فيه من متاع النساء ما لا بد لهن منه، ولعل البعير يقع فيتكسر» وذلك من لقمان بمنظر ومسمع، فقال: «أفعل». فاحتمله على عاتقه، فلما انحدر، وجد بللاً في صدره فشمه، فإذا هو ريح بول قد جاء من السفط الذي على رأسه ففتح السفط فإذا هو بغلام قد خرج منه يعدو، فلما نظر لقمان قال: يا إحدى بنات طبق، - وبنات الطبق أن تأتي الحية السلحفاة، فتلتوي عليها، فتبيض بيضة واحدة، فتخرج منها حية شبراً أو نحوه، لا تضرب شيئاً إلا أهلكته - فتبعه لقمان حتى لحقه، فجاء به يحمله، واجتمع الناس إليه، وقالوا: «يا لقمان أحكم فيما ترى» فقال:

«ردوا الغلام في السفط يكون له مثوى حتى يرى ويعلم أن العقاب فيما أتى وتحمله المرأة بفعلها، حملوها ما حملت زوجها، ثم شدوا عليها، فإن ذلك جزاء مثلها». فعمدوا إلى الغلام، فشدوه في السفط، ثم شدوه في عنق المرأة، ثم تركوهما حتى ماتا.

ثم فارقهم لقمان، فأتى قبيلة أخرى فنزل بهم، فيينا هو كذلك، إذ بصبر بامرأة قد قامت عن بنات لها، فسألت إحداهن: (أين تذهبين) ؟

قالت: إلى الخلاء، ثم خرجت إلى بيوت الحي فعارضها رجل فمضيا جميعاً، ولقمان ينظر، فوقع الرجل عليها، وقضى حاجته منها، فقالت المرأة: هل لك أن أتماوت على أهلي، فإنما هو ثلاثة أيام أكون في رجمي، ثم تجيء: فتستخرجنني فتتمتع، فقال الرجل افعلي؛ وكان اسمه الخلي، وزوج المرأة اسمه الشجي فقال لقمان: ويل للشجي من الخلي فذهبت مثلاً، فلم تلبث المرأة إلا أياماً حتى تماوتت على أهلها، وكان الميت منهم إذا مات تجعل فوقه الحجارة ولم تكن إذ ذاك قبور، فلما كان اليوم الثالث، جاءها خليلها فأخرجها، وانطلق بها إلى منزله، وتحول الحي من ذلك المكان، وخافت المرأة أن تعرف فجرت شعرها، وتركت لنفسها جمّة، فيينا هم كذلك، إذ خرج بنات المرأة فإذا هن بامرأة جالسة ذات جمّة، فقالت الصغرى: (أمي والله)، قالت الوسطى: (صدقت والله)، قالت المرأة: كذبتما ما أنا لكما بأم، قالت الكبرى:

صدقت! والله لقد دفنا أماً غير ذات جمّة، ما كان لأماً إلا لمة قالت الصغرى: هبك أنكرت أعلاها، أما تعرفين أخراها فتعلقت به، فقالت: صغراهن مراهن، فذهبت مثلاً. واجتمع الناس، وجاء زوج المرأة، فارتفعوا إلى لقمان فقالوا: أحكم بيننا، فقال لقمان: عند جهينة الخبر اليقين فذهبت مثلاً.

وكان يلقب بجهينة، فقال لقمان للمرأة: أخبرك أم تخبريني؟

قالت: بل قل، قال: إنك قلت لهذا إني متموتة على أهلي، فإذا دفنوني في رجمي، جئت فاستخرجتني، وأتذكر لهم فلا يعرفونني، فتنعم ما بقينا، فاعترفت المرأة فقيل للقمان: أحكم بيننا، قال: ارجموها كما رجمت نفسها، فحفر لها حفرة وألقوها، فيها ورجموها، وكانت أول مرجومة في العرب، ثم إن زوجها تعلق بالخلي فقال: يا لقمان هذا فراق بيني وبين أهلي، فقال لقمان: لكل ذكر أنثى، ولكل أول آخر، فرق بينك وبين أنثاك، ونفرك بين ذكره وبين أنثيه، فقطع ذكره، فمات.^١

^١ الفاهر المفضل بن سلمة ص ١٢٧ ط دار إحياء الكتب العربية ، المحاسن والأضداد ص ٢٤٨

متفرقات

- قال عبد الله بن مصعب: قال عمر بن الخطاب: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية، وإن كانت بنت ذي الغصّة، يعني: يزيد بن الحصين الحارثي، فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال؛ فقالت امرأة: ما ذاك لك {قال: ولم؟ قالت: لأنّ الله عزّ وجلّ قال: {وإذا تميّز أحداهنّ فنفاراً فلا تأخذوا منه شيئاً} [٤ سورة النساء / الآية: ٢٠] فقال عمر: امرأة أصابت ورجلٌ أخطأ.^١
- قال أبو الحسن المدائني: دخل عمران بن حطّان يوماً على امرأته، وكان قبيحاً دميماً قصيراً، وقد تزوّجت، وكانت حسناء، فلم يتمالك أن أدام النّظر إليها، فقالت: ما شأنك؟ قال: لقد أصبحت والله جميلةً، فقالت: أبشر {فإني وإياك في الجنة؛ قال: ومن أين علمت؟ قالت: لأنّك أعطيت مثلي فشكرت، وابتليت بمثلك فصبرت، والصّابر والشّاكر في الجنة.^٢
- قال القحزمي: دخل ذو الرّمة الكوفة، فبينما هو يسير في بعض شوارعها على نجيبٍ له، إذ رأى جاريةً سوداء واقفةً على باب دار، فاستحسنها،

^١ أخبار الطراف والمتماجنين ابن الجوزي ص ١٤٤ ط دار ابن حزم - بيروت

^٢ أخبار الطراف والمتماجنين ص ١٤٤

فدنا منها، فقال: يا جارية {اسقني ماءً؛ فأخرجت إليه كوزاً، فشرب وأراد أن يمازحها، فقال: ما أحرّ ماءك} فقالت: لو شئت لأقبلت على عيوب شعرك وتركت حرّ مائي وبرده؛ فقال لها: وأي شعري له عيب؟ فقالت: ألسنت ذا الرّمة؟ قال: بلى! قالت:

فأنت الذي شبّهت عنزاً بقفرة ... لها ذنبٌ فوق استها أمّ سالم

جعلت لها قرنين فوق جبينها ... وطبيين مسّودين مثل المحاجم

وساقين إن يستمكننا منك يتركا ... بجلدك يا غيلان مثل المناسم

أيا ظبية الوعساء بين حلال ... وبين النّقا أنت أمّ سالم

قال: نشدتك الله إلا أخذت راحلتي هذه وما عليها ولم تظهرني هذا؛ ونزل عن راحلته، فدفعها إليها، وذهب ليمضي، فدفعتها إليه، وضمنت له أن لا تذكر لأحد ما جرى.^١

- وقف المهديّ على عجوزٍ من العرب، فقال: ممّن أنت؟ قالت: من طيّء، قال: ما منع طيّء أن يكون فيهم مثل حاتم؟ فقالت: الذي منع الملوك أن يكون فيهم مثلك {فعجب من جوابها، ووصلها.^٢

^١ مصارع العشاق ٣٠/٢

^٢ أخبار الظراف والمتماجنين ص ١٤٦

• وقال الجاحظ: رأيت بالعسكر امرأةً طويلةً جداً ونحن على الطعام، فأردت أن أمازحها، فقلت: أنزلي تأكلي معنا، فقالت: وأنت فاصعد حتى ترى الدنيا.^١

• وقال المدائني عن ابن جعدية كان في قريش رجل في خلقه سوء وفي يده سماح وكان ذا مال فكان لا يكاد يتزوج امرأة إلا فارقها لسوء خلقه وقلة احتمالها فخطب امرأة من قريش جلييلة القدر وبلغها عنه سوء خلقه فلما انقطع ما بينهما من المهر قال لها يا هذه ان في سوء خلقي يعود إلى احتمال وتكرم فان كان بك علي صبر وإلا فلست أغرك مني فقالت له إن أسوأ خلقاً منك لمن يحوجك إلى سوء الخلق وتزوجته فما جرى بينهما كلمة حتى فرق بينهما الموت.^٢

• عرض على رجل جاريتان: بكرٌ وثيبٌ، فاختر البكر، فقالت الثيب: ما بيني وبينها إلا يومٌ، فقالت البكر: {وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون} [سورة الحج / الآية: ٤٧] فاشتراها.^٣

^١ أخبار الظراف والمتماجنين ص ١٤٧

^٢ بلاغات النساء ص ١٣٨

^٣ أخبار الظراف والمتماجنين ص ١٤٨

- خرج رجلٌ، فقعده يتفرّج على الجسر، فأقبلت امرأةٌ من جانب الرّصافة متوجّهة إلى الجانب الغربي، فاستقبلها شابٌ، فقال لها: رحم الله علي بن الجهم؛ فقالت المرأة: رحم الله أبا العلاء المعري؛ ومراً. قال: فتبعت المرأة، وقلت لها: إن لم تقولي ما قلتما فضحتك. فقالت: قال لي: رحم الله علي بن الجهم يريد قوله: عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري وأردت بترحمي على أبي العلاء قوله: فيا دارها بالحزن إن مزارها ... قريبٌ ولكن دون ذلك أهوال^١

- غضب المأمون على طاهر بن عبد الله، فأراد طاهر أن يقصده، فورد كتابٌ له من صديق له، ليس فيه إلا السلام، وفي حاشيته: يا موسى! فجعل يتأمله ولا يعلم معنى ذلك، وكانت له جارية فطنة، فقالت: إنه يقول: {يا موسى إن الملائمة يأمرون بك ليقتلوك} [٢٨ سورة القصص / الآية: ٢٠] فتشبّط عن قصد المأمون.^٢

^١ زهر الأكم في الأمثال والحكم نور الدين اليوسي ١١٨/١ ط الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء -

المغرب

^٢ أخبار الظراف والمتماجنين ص ١٤٩

- جاءت دلالةً إلى رجلٍ، فقالت: عندي امرأةٌ كأنها طاقة نرجسٍ؛ فتزوَّجها، فإذا هي عجوزٌ قبيحةٌ، فقال للدلالة: غششتني، فقالت: لا والله إنما شبهتها بطاقة نرجسٍ لأنَّ شعرها أبيضٌ، ووجهها أصفرٌ، وساقها أخضر.^١
- عن أبي زهير العبسي قال: كان ابن ملجم من مراد وعداده في كندة فأقبل حتى قدم الكوفة فلقي بها أصحابه وكتمهم أمره وطوى عنهم ما تعاقد هو وأصحابه عليه بمكة من قتل أمراء المسلمين مخافة أن ينشر منه شيء وأنه زار رجلاً من أصحابه ذات يوم من تيم الرباب فصادف عنده قطام بنت الأخرس بن شجنة من تيم الرباب، وكان علي قتل أبائها وأخاها بالنهران، وكانت من أجمل نساء أهل زمانها، فلما رآها ابن ملجم لعنه الله شغف بها واشتد إعجابه، فخبّر خبرها فخطبها فقالت له: ما الذي تسمى لي من الصداق فقال لها؟ احتكمي ما بدا لك. فقالت: أنا محتكمة عليك ثلاثة آلاف درهم ووصيفاً وخادماً وقتل علي بن أبي طالب، فقال لها: لك جميع ما سألت، فأما قتل علي فأنى لي بذلك؟ فقالت: تلمس غرته فإن أنت قتلتني شفيت نفسي وهناك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا، قال لها: أما والله أقدمني هذا

^١ أخبار الظراف والمتماجنين ص ١٥٠

المصر وقد كنت هارباً منه لا آمن مع أهله إلا ما سألتني من قتل علي، فلك ما سألت، قالت له: فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على ذلك ويقويك ثم بعثت إلى وردان بن مجالد من تيم الرباب فخبرتة الخبر وسألته معونة ابن ملجم لعنه الله، فتحمل ذلك لها، وخرج ابن ملجم فأتى رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بجرة فقال له: يا شبيب، هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما هو قال تساعدني على قتل علي بن أبي طالب، وكان شبيب على رأي الخوارج، فقال له: يا ابن ملجم هبلك الهول. لقد جئت شيئاً إدا، وكيف تقدر على ذلك؟ قال له ابن ملجم: نكمن له في المسجد الأعظم فإذا خرج لصلاة الفجر فتكنا به فقتلناه، فإذا نحن قتلناه شفيناً وأدركنا ثأرنا، فلم يزل به حتى أجابه، فأقبل معه حتى دخل على قطام وهي معتكفة في المسجد الأعظم قد ضربت عليها قبة، فقالا لها: قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل .

قالت لهما: فإذا أردتما ذلك فألقيا في هذا الموضع. فانصرفا من عندها فلبثا أياماً. ثم أتياها ليلة الجمعة لتسع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين^١.

^١ مقاتل الطالبين ص ١٨

- زعموا أن أم خارجة بنت سحمة بن سعد بن عبد الله بن قذاذ بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار البجلية - وهي أم عدس كانت تحت رجل من اباد، وكان أبا عذرها، وكانت من أجمل نساء أهل زمانها، فخلعها منه دعب بن خلف بن دعب بن سحمة بن سعد بن عبد الله بن قذاذ بن عبد الله بن سعد بن قذاذ وهو ابن أخيها فتزوجها بعده عمرو بن تميم، فولدت له أسيد بن عمرو بن تميم، والعنبر بن عمرو، والهجيم، والقلب. ثم خلف عليها بعده بكر بن عبد مناة من كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، فولدت له: ليث بن بكر، والحارث بن بكر والدليل بن بكر؛ ثم خلف عليها مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، فولدت له: غاضرة بن مالك، وعمرو بن مالك، وولدت في قبائل العرب. زعموا أن الخاطب كان يأتيها فيقول: خطب، فتقول نكح، ف قيل: أسرع من نكاح أم خارجة فصار مثلاً.^١

- قال الجاحظ: طلب المعتصم جاريةً كانت لمحمود الوراق، وكان نخاساً، بسبعة آلاف دينار، فامتنع محمود من بيعها، فلما مات محمود اشترت للمعتصم من ميراثه بسبع مئة دينار، فلما دخلت إليه، قال لها: كيف رأيت؟ تركتك حتى اشتريتك من سبعة آلاف بسبع مئة. قالت:

^١ نهاية الأرب في فنون الأدب ١٢٣/٢

أجل! إذا كان الخليفة ينتظر لشهواته المواريث، فإن سبعين ديناراً كثيرةً في ثمني فضلاً عن سبع مئة؛ فأخرجته.^١

- كان لجعفر بن يحيى، خاتمٌ منقوشٌ عليه (جعفر بن يحيى)، فنادى أن لا ينقش أحدٌ على خاتمه (جعفر بن يحيى) فجاءت جاريةٌ إلى نقاش، فقالت له: أريد أن تنقش لي على هذا الخاتم إذا حضرت عندك ما أقوله لك؛ فحضرت، وقد أوصت خادمين أن يصيح أحدهما في أول السوق: جعفر، ويصيح الآخر في آخر السوق: يحيى. فقالت: انقش لي ما تسمعه من أول صائح يصيح الآن، فصاح أحدهما: جعفر، فقال: ما يمكنني أن أنقش جعفر. فصاح الآخر: يحيى، فقالت: انقش الآن جعفر بن يحيى؛ فنقشه.^٢

- خرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حاجين من المدينة ومعهم أصحاب لهم حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلاً فانطلق سليمان بن يسار حاجين من المدينة ومعهم أصحاب لهم حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلاً فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم وبقي عطاء قائماً في المنزل يصلي فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة فلما رآها عطاء ظن

^١ أخبار الظراف والمتماجنين ص ١٥١

^٢ أخبار الظراف والمتماجنين ص ١٥٢

أن لها حاجة فأوجز في صلاته ثم قال ألك حاجة قالت نعم قال أما هي قالت قم فأصب مني فإني قد ودقت ولا بعلم لي فقال إليك عني لا تحرقيني ونفسك بالنار ونظر إلى امرأة جميلة فجعلت تراوده عن نفسه وتأبى إلا ما تريد فجعل عطاء يبكي ويقول ويحك إليك عني إليك عني قال واشتد بكاءه فلما نظرت المرأة إليه وما دخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه فجعل يبكي والمرأة بين يديه تبكي . فبينا هو كذلك جاء سليمان من حاجته فما نظر إلى عطاء يبكي والمرأة بين يديه تبكي في ناحية البيت بكى لبكائهما لا يدري ما أبكاهما وجعل أصحابهما يأتون رجلا رجلا كلما اتاهم رجل فرآهم ييكون جلس يبكي لبكائهما لا يسألهم عن أمرهم حتى كثر البكاء وعلا الصوت فلما رأت الأعرابية ذلك قامت فخرجت وقام القوم فدخلوا فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالا له وهيبة قال وكان أسن منه ثم إنها قدما مصر لبعض حاجتهم فلبثا بها ما شاء الله فبينا عطاء ذات ليلة نائما استيقظ وهو يبكي فقال سليمان ما يبكيك يا أخي قال رؤيا رأيتها الليلة قال ما هي قال لا تخبر بها أحدا ما دمت حيا رأيت يوسف النبي عليه السلام في النوم فجئت أنظر إليه فيمن ينظر فلما رأيت حسنه بكيت فنظر إلي في الناس فقال ما يبكيك أيها الرجل قلت بأبي أنت وأمي يا نبي الله

ذكرتك وامرأة العزيز وما ابتليت به من أمرها وما لقيت من السجن وفرقة الشيخ يعقوب فبكيت من ذلك وجعلت أتعجب منه فقال صلى الله عليه وسلم فهلا تعجبت من صاحب المرأة البدوية بالأبواء فعرفت الذي اراد فبكيت واستيقظت باكيا فقال سليمان أي أخي وما كان حال تلك المرأة قال فقص عطاء عليه القصة فما أخبر بها سليمان أحدا حتى مات عطاء فحدث بها امرأة من أهله قال وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلا بعد موت سليمان بن يسار .^١

- قيل: ما رثيت ابنة عبد الله بن جعفر ضاحكة بعد أن تزوجها الحجاج ف قيل لها: لو تسليت، فإنه أمر قد وقع. فقالت: كيف وبم؟ فوالله لقد ألبست قومي عارا لا يغسل درنه بغسل. ولما مات أبوها لم تبك عليه. فقيل لها: ألا تبكين على أبيك؟ قالت: والله إن الحزن ليعثني وإن الغيظ ليصممني. مات ابن لزينب بنت سليمان بن علي فوجه المأمون بصالح بن الرشيد للصلاة عليه، فقال لها صالح: إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: قد كنت على الركوب، فعرضت لي علة، وقد وجهت صالحا ليقوم مقامي، عظم الله أجرك، فإنما فقدت شخصه، وثوابه مذكور لك. قال: فظهر غضبها، ورفعت ابنا لابنها الميت فقالت: صل على أبيك

^١ ذم الهوى ابن الجوزي ص ٢٥٦ تح محمد الغزالي

وقالت:

سبكناه ونحسبه لجينا ... فأبدى الكير عن خبث الحديد

أما إنه لو كان يحيى بن الحسين بن زيد لو وضعت ذيلك في فيك،
وعدوت خلف جنازته.^١

- لما دخل المأمون بغداد دخلت عليه أم جعفر فقالت: يا أمير المؤمنين أهنئك بخلافة قد هنأت بها نفسي عنك قبل أن أراك. ولئن فقدت ابنا خليفة لقد عوضت ابنا خليفة لم ألدّه. وما خسر من اعتاض مثلك، ولا ثكلت أم ملأت يدها منك، فأسأل الله أجرا على ما أخذ، ومتاعا بما وهب.^٢

- كانت امرأة جميلة بمكة وكان لها زوج فنظرت يوما إلى وجهها في المرأة فقالت لزوجها أترى أحدا يرى هذا الوجه لا يفتن به قال نعم قالت من قال عبيد بن عمير قالت: فائذن لي فيه فلافتننه قال قد أذنت لك قال فأتته كالمستفتية فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام قال فأسفرت عن مثل فلقة القمر فقال لها يا أمة الله قالت إني قد فتنت بك فانظر في امري

^١ نثر الدر في المحاضرات ٣٣/٤

^٢ التذكرة الحمدونية ٢٦٧ / ٤

قال إني سائلك عن شيء فإن أنت صدقتني نظرت في أمرك قالت لا
تسألني عن شيء إلا صدقتك

- قال اخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة قالت اللهم لا قال صدقت قال فلو أدخلت في قبرك وأجلست للمساءلة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة قالت اللهم لا قال صدقت قال فلو أن الناس اعطوا كتبهم ولا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة قالت اللهم لا قال صدقت قال فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين تخفين أم تثقلين أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة قالت اللهم لا قال صدقت قال فلو وقفت بين يدي الله للمساءلة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة قالت اللهم لا قال صدقت قال اتقي الله يا أمة الله فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك قال فرجعت إلى زوجها فقال ما صنعت قالت أنت بطل ونحن بطالون فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة قال فكان زوجها يقول مالي ولعبيد بن عمير أفسد علي امرأتي كانت في كل ليلة عروسا فصيرها راهبة^١.

^١ روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص ٣٤٠ ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

- روى عن محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان قال: جمعنا أمنا فاطمة بنت الحسين عليه السلام فقالت: يا بني؛ إنه والله ما نال أحد من أهل السفه بسفهم شيئا ولا أدركوه من لذاتهم إلا وقد ناله أهل المروءات، فاستتروا بستر الله. وذكر أن فاطمة أعطت ولدها من حسن بن حسن ما ورثته منه، وأعطت ولدها من عبد الله بن عمرو بن عثمان مورثها منه، فوجد ولد حسن بن حسن في أنفسهم لأن ما ورثت من عبد الله بن عمرو كان أكثر فقالت لهم: يا بني، إني كرهت أن يرى أحدكم شيئا من مال أبيه بيد أخيه، فيجد من ذلك في نفسه فلذلك فعلت ما فعلت. ودخلت مع أختها سكينه على هشام بن عبد الملك، فقال هشام لفاطمة: صفي لنا يا بنة حسين ولدك من ابن عمك، وصفي لنا ولدك من ابن عمنا قال: فبدأت بولد الحسن قالت: أما عبد الله فسيدنا وشريفنا والمطاع فينا، وأما الحسن فلساننا ومدرهنا وأشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم شمائل وتقلعا ولونا - وكان رسول الله عليه السلام إذا مشى تقلع فلا تكاد عقباه تقعان بالأرض - وأما اللذان من ابن عمكم فإن محمدا جمالنا الذي نباهي به، والقاسم عارضتنا التي نمتنع بها، وأشبه الناس بأبي العاص بن أمية عارضة ونفسا. فقال: والله لقد أحسنت صفاتهم يا بنة حسين. ثم وثب فجذبت سكينه بردائه فقالت: والله يا أحول لقد

أصبحت تهكم بنا. أما والله ما أبرزنا لك إلا يوم الطف، قال: أنت امرأة كثيرة الشر.^١

• مرت امرأة جميلة على مسجد بني نمير بالبصرة وعليه جماعة منهم فقال بعضهم: ما أكبر عجيزتها، وقال آخر: إنها ملفوفة. وقال آخر: أنا أجيئكم بخبرها. فتبعها وضرب يده على عجيزتها. قال: فالتفت إليه وقالت: "الحق من ربك فلا تكونن من الممترين" ثم انصرفت إلى بني نمير فقالت: يا بني نمير؛ والله ما حفظتم في قول الله جل وعز، ولا قول الشاعر؛ قال الله تبارك وتعالى: "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم" وقال الشاعر:

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا^٢

• كانت بعض النساء المتعبدات وقعت في نفس رجل موسر وكانت جميلة وكانت تخطب فتأبى فبلغ الرجل أنها تريد الحج فاشتري ثلاثمائة بغير ونادى من أراد الحج فليكثر من فلان فاكثر منه المرأة فلما كان في بعض الطريق جاءها فقال إما أن تزوجيني نفسك وإما غير ذلك فقالت ويحك اتق الله فقال ما هو إلا ما تسمعين والله ما أنا بجمال ولا خرجت

^١ نثر الدر في المحاضرات ٣٥/٤

^٢ أخبار النساء ص ١٧٤

إلا من أجلك فلما خافت على نفسها قالت ويحك انظر أبقني في الرجال
عين لم تنم فقال لا ناموا كلهم قالت أفنامت عين رب العالمين ثم
شهقت شهقة خرت ميتة وخر الرجل مغشيا عليه فلما أفاق قال ويحي
قتلت نفسا ولم أبلغ شهوتي^١

• كان رجل من العرب تحته ابنة عم له وكان لها عاشقا وكانت امرأة جميلة
وكان من عشقه لها أنه كان يقعد في دهليزه مع ندمائه ثم يدخل ساعة بعد
ساعة ينظر إليها ثم يرجع إلى أصحابه عشقا لها فطبن لها ابن عم لها
فاكترى دارا إلى جنبه ثم لم يزل يرأسها حتى أجابته إلى ما أراد فاحتالت
وتدلت إليه ودخل الزوج كعادته لينظر إليها فلم يرها فقال لأمها أين
فلانة فقالت تقضي حاجة فطلبها في الموضع فلم يجدها فإذا هي قد
تدلت وهو ينظر إليها فقال لها ما وراءك والله لتصدقني قالت والله
لأصدقنك من الأمر كيت وكيت فأقرت له فسل السيف فضرب عنقها
ثم قتل أمها وهرب وأنشأ يقول

يا طلعة طلع الحمام عليها ... وجنت لها ثمر الردى بيديها^٢

^١ روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ٤٦٦

^٢ ذم الهوى ص ٢٧٧

• كان في جوارى ببغداد امرأة جميلة مستورة ولها ابن عم يهواها كان قد ربى معها فعدل بها أبوها عنه إلى رجل غريب فزوجه بها فكان ابن العم يلزم بابها طمعا فيها وأحسن الزوج بذلك فكان يحترز فخرج يوما زوجها فأرادت المرأة أن تبتد فتزعت ثيابها واغتسلت وتركت خواتيم لها من ذهب عند ثيابها فأخذ الخواتيم عقق كان في الدار وخرج إلى الباب فوافق خروجه ابن عمها فأخذ الخواتيم منه فلبسها وقعد على الباب ليراه زوج المرأة فيظن أنه كان عندها فيطلقها فجاء الزوج فقام إليه ابن العم مسلما وتعمد أن يريه الخواتيم في يده فرآها فعرفها فدخل فوجد امرأته تغتسل فلم يشك أنه غسل جنابة وأن ابن عمها قد كان عندها فقال لجارية كانت عنده اذهبي فذهبت فأغلق الباب وذبح المرأة ولم يسألها عن شيء فجاءت الجارية فرأتها مقتولة فصاحت فحمل الرجل إلى السلطان فقتل بها وأخرج ابن العم الحديث وكان ذلك سبب توبته ولزومه العبادة إلى أن مات^١

• حدث بعضهم قال: خرجت إلى ناحية الطفاوة فإذا أنا بامرأة لم أر أجمل منها. فقلت: أيتها المرأة؛ إن كان لك زوج فبارك الله له فيك، وإلا فأعلميني. قال: فقالت: وما تصنع بي وفي شيء لا أراك ترتضيه. قلت:

^١ ذم الهوى ص ٤٨٠

وما هو؟ قالت: شيب في رأسي. قال: فثيت عنان دابتي راجعا. فصاحت بي: على رسلك أخبرك بشيء. فوقفت وقلت: ما هو يرحمك الله؟ فقالت: والله ما بلغت العشرين بعد، وهذا رأسي - فكشفت عن عناقيد كالحمم - وما رأيت في رأسي بياضا قط، ولكن أحببت أن تعلم أنا نكره مثل ما يكره منا. وأنشدت:

أرى شيب الرجال من الغواني ... بموضع شيبهن من الرجال
قال: فرجعت خجلا كاسف البال.^١

• كانت أم أبان بنت عتبة بن ربيعة عند يزيد بن أبي سفيان فمات عنها فخطبها علي عليه السلام فردته فقبل لها: أتردين علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه، وزوج فاطمة وأبا الحسن والحسين، وحاله في الإسلام حاله؟ قالت: نعم. لا أؤثر هواه على هواي. ليس لامرأته منه إلا جلوسه بين شعبها الأربع، وهو صاحب صر من النساء.

ثم خطبها عمر فردته. فقبل أتردين أمير المؤمنين الفاروق، وحاله في الإسلام حاله؟ قالت: نعم لا أؤثر هواه على هواي، يدخل عابسا ويخرج عابسا، ويغلق علي بابه وأنا امرأة برزة. ثم خطبها الزبير فردته. فقبل لها: أتردين الزبير حواري رسول الله وابن عمته وحاله في الإسلام حاله؟ قالت: نعم. لا أؤثر هواه على

^١ التذكرة الحمدونية ٣٠/٦

هواري. يد فيها قروني، ويد فيها السوط. ثم خطبها طلحة فقالت: زوجي حقا. يدخل علي بساما ويخرج بساما، إن سألت بذل، وإن أعطى أجزل، وإن أذنبت غفر، وإن أحسنت شكر. فتروجته. فأولم ثم دعا هؤلاء النفر وهي في خدرها وكذلك كانوا يفعلون. فقال علي عليه السلام: يا أبا محمد إيدن لي أكلم هذه فأذن له. فقال: يا أم أبان تستري. فتسترت ثم رفع سجع الحجلة فقال: يا عدية نفسها خطبتك وليس بقرشية عني رغبة بعد فاطمة بنت رسول الله، فرددتني، وخطبك الزبير حوارى رسول الله وابن عمته فرددته واخترت علينا ابن الصعبة قالت: فلو وجدت نفقا لدخلت فيه. قالت: فأحلت على الزاملة التي تحمل كل شيء فقلت: أمر قضي، وما كان ذاك بيدي فقال: صدقت رحمك الله. أما على ذلك فقد نكحت أصبحنا وجهها، وأسخانا كفا، وأكرمنا للنساء صحبة. ثم قال: يا أبا محمد، سلها عما قلت لها فإني لم أقل إلا الذي تحب. قال: لا أسألها عنه أبدا. نظرت عجوز أعرايبة إلى امرأة حولها عشرة من بنيتها كأنهم الصقور فقالت: ولدت أمكم حزنا طويلا. خرج معاوية ذات يوم يمشي، ومعه خصي له حتى دخل على ميسون بنت بحدل، وهي أم يزيد فاستترت منه. قال: أتستترين منه وإنما هو مثل المرأة؟ قالت: أترى أن المثلة به تحل ما حرم الله^١.

^١ نثر الدر في المحاضرات ٤/٤٣

• بينما عمر بن الخطاب يطوف ذات ليلة في سكة من سكك المدينة، إذ

سمع امرأة وهي تهتف من خدرها وتقول:

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى خَمْرٍ فَأَشْرِبَهَا، ... أَمْ هَلْ سَبِيلٌ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ
إِلَى فِتْنَى مَا جِدَ الْأَعْرَاقِ مُقْتَبِلٍ، ... سَهْلِ الْمُحَيَّا، كَرِيمٍ، غَيْرِ مِلْجَاجٍ
قال: فقال عمر، رحمة الله عليه: ألا أرى معي في المصر رجلاً تهتف به العواتق
في خدورهن؟ علي بنصر بن حجاج! فأتي به، فإذا هو أحسن الناس وجهاً وشعراً،
فقال: علي بالحجام، فجز شعره، فخرجت له وجتان كأنهما شقتا قمر، فقال:
اعتم، فاعتم، ففتن الناس. فقال عمر: والله لا تساكنني ببلد أنا فيه. قال: ولم ذاك يا
أمير المؤمنين! قال: هو ما قلت لك. فسيره إلى البصرة، وخشيت المرأة التي سمع
منها عمر ما سمع أن ييدر إليها عمر بشيء، فдست إليه أبياتاً تقول فيها:

قُلْ لِلْإِمَامِ الَّذِي تُخْشَى بَوَادِرُهُ: ... مَا لِي وَلِلْخَمْرِ أَوْ نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ

إِنِّي عَنِتُّ أَبَا حَفْصٍ بَغِيرِهِمَا، ... شَرَبَ الْحَلِيبِ وَطَرَفٍ غَيْرِهِ سَاجِي

إِنَّ الْهَوَى ذِمَّةُ التَّقْوَى، فَقَيْدُهُ ... حَتَّى أَقْرَّ بِالْجَامِ وَإِسْرَاجِ

لَا تَجْعَلِ الظَّنَّ حَقًّا، أَوْ تُبَيِّنَهُ، ... إِنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ الْخَائِفِ الرَّاجِي

قال: فبعث إليها عمر: قد بلغني عنك خبر، وإني لم أخرجك من أجلك، ولكن

بلغني أنه يدخل على النساء، ولست آمنهن.

قال: وبكى عمر، وقال: الحمد لله الذي قيد الهوى حتى أقر بالجام وإسراج.
ثم إن عمر كتب إلى عامله بالبصرة كتباً، فمكث الرسول عنده أياماً، ثم نادى
مناديه: الا إن بريد المسلمين يريد أن يخرج، فمن كانت له حاجة فليكتب! فكتب
نصر بن حجاج كتاباً، ودسه في الكتب، ونصه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله
عمر أمير المؤمنين سلام عليك! أما بعد فلعمري، يا أمير المؤمنين، لئن سيرتني أو
حرمتني وما نلت مني عليك بحرام، وكتب بهذه الأبيات:

أَنَّ غَنَّتِ الدَّلْفَاءُ يَوْمًا بِمُنِيَّةٍ، ... وَبَعْضُ أَمَانِيَّ النَّسَاءِ غَرَامُ
ظَنَنْتَ بِي الظَّنَّ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ ... بَقَاءٌ، فَمَا لِي فِي النَّدَى كَلَامُ
وَيَمْنَعُنِي مِمَّا تَظُنُّ تَكْرُمِي، ... وَأَبَاءُ صِدْقٍ سَالِفُونَ كِرَامُ
وَيَمْنَعُهَا مِمَّا تَظُنُّ صَلَاتُهَا، ... وَحَالُ لَهَا فِي قَوْمِهَا وَصِيَامُ
فَهَذَا حَالَانَا! فَهَلْ أَنْتَ رَاجِعِي، ... فَقَدْ جُبَّ مِنِّي كَاهِلٌ وَسَنَامُ

فقال عمر، لما قرأ الكتاب: أما ولي سلطان فلا، فما رجع إلى المدينة إلا بعد
وفاة عمر، وله خبر طويل ليس هذا موضعه، ويقال إن هذه المتمنية أم الحجاج.^١

• كانت الفارعة بنت مسعود الثقفية أم الحجاج عند المغيرة بن شعبة،
فدخل عليها ذات يوم حين أقبل من صلاة الغداة وهي تتخلل. فقال: يا

^١ مصارع العشاق ٢/٢٦٨

فارعة؛ لئن كان هذا التخلل من أكل اليوم إنك لجشعة، وإن كان من أكل البارحة إنك لبشعة. اعتدى فأنت طالق. فقالت: سخنت عينك من مطلق. ما هو من ذا ولا ذاك. ولكنني استكت فتخللت من شظية من سواكي. فاسترجع ثم خرج فلقي يوسف بن الحكم بن أبي عقيل. فقال: إني قد نزلت اليوم عن سيدة نساء ثقيف، فتزوجتها فإنها ستنجب. فتزوجها فولدت له الحجاج.^١

• خرج أبو دهبيل يريد الغزو - وكان رجلاً جميلاً صالحاً - فلما كان بجيرون جاءته امرأة، فأعطته كتاباً، فقالت له: اقرأ هذا، فقرأه لها. ثم ذهبت، فدخلت قصرًا، ثم خرجت إليه، فقالت: لو تبلغت إلى هذا القصر، فقرأت الكتاب على امرأة فيه كان لك أجر - إن شاء الله - فدخل القصر، فإذا جوار كثير، فأغلقن عليه باب القصر، وإذا امرأة جميلة قد أتته، فدعته إلى نفسها، فأبى؛ فأمرت به فحبس في بيت من القصر، وأطعم وسقي قليلاً قليلاً حتى ضعف، وكاد أن يموت، ثم دعتة إلى نفسها؛ فقال: أما حرام فلا يكون ذلك أبداً، ولكن أتزوجك، قالت: نعم. فتزوجها، وأمرت به فأحسن إليه حتى رجعت إليه نفسه، فأقام معها زماناً طويلاً، لم تدعه يخرج من القصر، حتى يئس منه أهله وولده، وزوج

^١ غرر الخصاص الواضحة، وعرر النقائص الفاضحة الوطواط ص ٩٧ ط دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

أولاده بناته، واقتسموا ميراثه، وأقامت زوجته تبكي عليه، ولم تقاسمهم ماله، ولا أخذت شيئاً من ميراثه، وجاءها الخطاب، فأبت، وأقامت على الحزن والبكاء عليه. فقال أبو دهبيل لامرأته يوماً: إنك قد أثمت في وفي ولدي؛ فأذني لي أن أخرج إليهم، وأرجع إليك. فأخذت عليه أيماناً ألا يقيم إلا سنة حتى يعود إليها، وأعطته مالا كثيراً. فخرج إلى أهله، وأتى زوجته وما صارت إليه من الحزن، ونظر إلى ولده ممن اقتسم ماله، فقال: ما بيني وبينكم عمل، أنتم ورثتموني وأنا حي، فهو حظكم، والله لا يشرك زوجتي فيما قدمت به أحد. وقال لزوجته: شأنك بهذا المال، فهو لك، ولست أجهل ما كان من وفائك. فأقام معها، وقال في الشامية: -
ويروى لعبد الرحمن بن حسان وليس بصحيح - :

صاح حيا الإله حياً ودوراً ... عند أصل القناة من جيرون
فبتلك اغتربت في الشام حتى ... ظن أهلي مرجمات الظنون
وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا ... ص ميزت من جوهر مكنون
وفيها:

ثم فارقتها على خير ما كا ... ن قرين مفارقاً لقرين
وبكت خشية التفرق والبي ... ن بكاء الحزين نحو الحزين
فأسألي عن تذكري واكتئابي ... كل أهلي إذا هم عذلوني

فلما جاء الأجل أراد الخروج إليها، فجاءه موتها؛ فأقام.^١

^١ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ابو علي التنوخي ١٢٤/٧

مصادر الكتاب

- ١- أخبار الحمقى جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) الناشر: دار الفكر اللبناني الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م
- ٢- أخبار الظراف جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: بسام عبد الوهاب الجاني الناشر: دار ابن حزم - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م
- ٣- أخبار النساء جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) شرح وتحقيق: الدكتور نزار رضا الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان عام النشر: ١٩٨٢
- ٤- الأغاني أبي الفرج الأصفهاني الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة الثانية تحقيق: سمير جابر
- ٥- البداية والنهاية أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي

الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى،

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م سنة النشر: ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م

٦- بدائع البدائيه علي بن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي، أبو الحسن

جمال الدين (المتوفى: ٦١٣ هـ) طبعة: مصر سنة ١٨٦١ م

٧- البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدى، علي بن محمد بن العباس

(المتوفى: نحو ٤٠٠ هـ) المحقق: د/ و داد القاضي الناشر: دار صادر -

بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٨- بلاغات النساء أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (المتوفى:

٢٨٠ هـ) صححه وشرحه: أحمد الألفي الناشر: مطبعة مدرسة والده

عباس الأول ، القاهرة عام النشر: ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م

٩- التذكرة الحمدونية محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو

المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢ هـ) الناشر: دار صادر،

بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ

١٠- ثمرات الأوراق ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي

(المتوفى: ٨٣٧ هـ) الناشر: مكتبة الجمهورية العربية، مصر

- ١١- الجليس الصالح أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى
النهرواني (المتوفى: ٣٩٠هـ) المحقق: عبد الكريم سامي الجندي الناشر:
دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
- ١٢- خزّانة الأدب عبد القادر بن عمر البغدادى (المتوفى: ١٠٩٣هـ)
تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة
الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
- ١٣- ذم الهوى جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد
الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: مصطفى عبد الواحد مراجعة:
محمد الغزالي
- ١٤- ربيع الأبرار جارا لله الزمخشري توفي ٥٨٣ هـ الناشر: مؤسسة
الأعلمي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ
- ١٥- روضة المحبين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس
الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية،
بيروت، لبنان الطبعة: ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م
- ١٦- زهر الأكم الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين
اليوسي (المتوفى: ١١٠٢هـ) المحقق: د محمد حجي، د محمد الأخضر

الناشر: الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب الطبعة:

الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

١٧- العقد الفريد أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه

ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى:

٣٢٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ

١٨- عيون الأخبار أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

(المتوفى: ٢٧٦هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت تاريخ النشر:

١٤١٨ هـ

١٩- غرر الخصائص أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن

يحيى بن علي المعروف بالوطواط (المتوفى: ٧١٨هـ) ضبطه وصححه

وعلق حواشيه ووضع فهرسه: إبراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب

العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

٢٠- الفاخر المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (المتوفى: نحو

٢٩٠هـ) تحقيق: عبد العليم الطحاوي مراجعة: محمد علي النجار

الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي الطبعة: الأولى،

١٣٨٠ هـ

- ٢١- الكامل في اللغة محمد بن يزيد المبرّد، أبو العباس (المتوفى):
 ٢٨٥هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار الفكر العربي -
 القاهرة الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
- ٢٢- الكشكول محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي
 الهمداني، بهاء الدين (المتوفى: ١٠٣١هـ) المحقق: محمد عبد الكريم
 النمري الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى،
 ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م
- ٢٣- اللآلي في شرح أمالي القالي عبد الله بن عبد العزيز بن محمد
 البكري دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٧هـ -
 ١٩٩٧م الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد العزيز الميمني
- ٢٤- اللطائف والظرائف عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو
 منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ) الناشر: دار المناهل، بيروت
- ٢٥- المحاسن والاضداد عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء،
 الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) الناشر: دار
 ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٤٢٣ هـ / دار النشر: مكتبة الخانجي
 - القاهرة / مصر - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م الطبعة: الثانية

- ٢٦- محاضرات الأدباء أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف
بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي
الأرقم - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ
- ٢٧- المستطرف شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبهلي
أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢هـ) الناشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة:
الأولى، ١٤١٩ هـ
- ٢٨- مصارع العشاق جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري
البغدادي، أبو محمد (المتوفى: ٥٠٠هـ) الناشر: دار صادر، بيروت
- ٢٩- نثر الدر منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الأبى (المتوفى:
٤٢١هـ) المحقق: خالد عبد الغني محفوظ الناشر: دار الكتب العلمية -
بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م
- ٣٠- نشوار المحاضرة المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود
التنوخي البصري، أبو علي (المتوفى: ٣٨٤هـ) عام النشر: ١٣٩١ هـ
- ٣١- نشوة السكران من صهباء تذكّار الغزلان أبو الطيب محمد صديق
خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي
(المتوفى: ١٣٠٧هـ) غني بنشره: محمد عطيه الكتبي. الناشر: المطبعة
الرحمانية بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠ م

٣٢- نهاية الأرب أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم

القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ) الناشر:

دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

فهرس الكتاب

- المقدمة ص ٥
- باب مدح النساء ص ٩
- باب ذم النساء ص ١٢
- صفة الزوجة الصالحة ص ١٥
- في النكاح وفضله والترغيب فيه ص ٢٢
- مبحث في أقسام النسوان ص ٤٣
- مبحث في التقسيم باعتبار السن ص ٤٧
- باب ما جاء في خلق النساء ص ٦٠
- رأي المرأة بالرجل ص ٨٥
- باب ما جاء في وصف النساء ص ٩١
- في صفات النساء المحمودة ص ١١١
- في صفة المرأة السوء ص ١١٥
- حديث أم زرع ص ١٢٧
- باب ما جاء في الغيرة ص ١٣٧

- باب ما جاء في وفاء النساء.....ص ١٤٢
- باب ما جاء في غدر النساء.....ص ١٧١
- حديث الزباء.....ص ١٧٩
- محاسن مكر النساء.....ص ١٨٩
- مساويء مكر النساء.....ص ١٩٥
- متفرقات.....ص ١٩٨
- مصادر الكتاب.....ص ٢٢١
- فهرس الكتاب.....ص ٢٢٨